Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقال في الوضع الآني

معاذ محمد بني عامر

Amman 2002 عاصمة الثقافة العربية The Arab Cultural Capital

بدعم من وزارة الثقافة عمان - الأردن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقال في الوضع الآني

معاذ محمد بني عامر

نشر بدعم من
وزارة الثقافة
عمان - الأردن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع لدى دائرة المكبة الوطنية ٢٠٠٢/٨/٢١٥٩

153.4

مقال في الوضع الآني

معاذ محمد بني عامر – عمان : المؤلف ٢٠٠٢

ر. إ : ٢٠٠٢/٨/٢١٥٩

رقم الاجازة لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٢/٨/٢٠٤٩

الواصفات: / الفلسفة / الإيديولوجيات / التفكير / علم النفس

تم اعداد الفهرسة والتصنيف الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة

عن رأي الجهة الداعمة

مطبعة بلال - اربد ٧٢٤٨٢٤٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإهـــداء

في أوقات الذروة، تتأزم الفكرة، وتصاب بحالة هذيان، تدعوها الى الانفلات من الجاذبية الجمجمية.

الى الفكرة التي ثقبت سور الجمجمة، وأحدثت خرقاً معمارياً في الذاكرة.

الى؟ أو ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معال في الوضع الآني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

لم يكن "الوضع الآني" هو شغلي الشاغل، كما الأمر بالنسبة "للوضع التالي"، لكنه لا بد من "الآني" كمادة دسمة "للتالي" تغذي العقل وتزوده بالسعرات الحرارية الفكرية التي تشد ظهره، وتمتن عزيمته، وتمنعه من الاندفاع نحو اللاشيء. هذا بعد أن يصاب "بالشيزوفيرينيا" (الانفصام).

اذن لا بد من "الآني" كمرحلة ممهدة – غير مجزأة– للتعامل لاحقاً مع "التالي" خشية على أنفسنا من الخضوع لهيمنة اللاشيء الفاقد لذاته. ومنعاً من تخبطنا الذي يؤدي الى الانتحار الوجودي "الآني" والذي بالضرورة يؤدي الى انزلاق خطير مع إتيان "التالي".

وحتى ان لم يكن "الآني" في مرحلة ما شغلي الشاغل، إلا انه الآن – ضمن معطيات الآني– يمثل قاعدة صلدة لها تاريخ عتيد، استند عليه في بناء ادراكات واحساسات ووضع تصورات، وبناء لبنات فكرية "للوضع التالي".

نقيضاً لهذا كان من الممكن ان يبنى "الوضع التالي" بمساعدة قوة عفريتية–بين ليلة وضحاها، لو تمتعنا او بالاحرى لو كان لدينا (عتاد سرمدي) نجاري فيه القوة الازلية، فنصنع المعجزات، ونفهم كنه المجهول، ونخترق الزمان، ونلغي المكان، لكننا ونتيجة لضعف كينونتنا الانطولوجية منعنا من امتلاك او حمل (السلاح السرمدي) خشيةان نستعمله في غير موضعه، وخشية ان ينقلب ضدنا ساعة العجز عن التعامل مع تقنياته اللامتناهية.

لكنها الحكمة الإلهية السرمدية، عرفت بضعفنا منذ الازل فحرمت علينا "الوضوح الكامل" أو "الاندماج الكلي" المتمفصل عن العتاد السرمدي الرهيب، ولهذا حكم علينا ان نعيش "الوضع الآني" بكل تفاصيله وفصلاته وانعطافاته، من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آدم – عليه السلام –الى ساعة اعلان – من قبل القوة الإلهية – زحزحة اشكالية (الزمكان).

حكم علينا بالتقوقع في معاقل "الوضع الآني" خشية ان تنتحر عقولنا، ونجلس بالتالي او بالأحرى نحظى بحياة متناهية ليس فيها معايشة "للوضع التالي".

لم يكن لدينا (عتاد سرمدي)، ولهذا نحن ضعيفون انطولوجياً ولا بد لنا من ان نعيش "الآني"، لنروض – بالمعنى العقلاني للكلمة – عقولنا، او بالأحرى لنؤهلها لتكون جاهزة للمثول امام سرمديات "الوضع التالي".

بلغة اخرى، اقتضت الحكمة الإلهية السرمدية، أن نعلن الفارق بيننا وبينها، عن طريق معايشة "الوضع الآني"،ومكابدة آلامه، وتحمل عثراته، لننتقل بالتالى من خشونة " الوضع الآني" إلى رقي " الوضع التالي" إذا اردنا اسقاط التعبير الخلدوني – نسبة الى ابن خلدون – على ما نتحدث عنه ههنا، مع بعض التحفظات الجوهرية.

وبناء على ما تعاقدنا على الاعتقاد بــه، ألزمتنا الضرورة الانطولوجية أن نتحدث عن "الوضع الآني".

هذا ولم يأت مقال "الوضع الآني" بمعناه الميكانيكي، بل جاء بالمعنى المجازي، لأننا لو تحدثنا عن "الوضع الآني" بالمعنى الميكانيكي ، فسيكون كل ما كتب في هذا الكتاب مجرد شعرة سوداء على جسم ثور ابيض، او العكس. من منطلق امتداد "الوضع الآني" من آدم – عليه السلام – الى آخر الزمان " الآني". وبهذا نكون بحاجة إلى أن نعيش عيشة أبدية لنتحدث عن " الوضع الآني" بكل معطياته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكننا تحـــدثنا بـــلغة مجازية عن "الوضع الآني" أو بالأحـــرى عن مفصليات "الوضع الآني". لهذا جاءت المقالات التي تشكل المقال، وتنســـج خيوطه، كتمهيد "للوضع التالي". هذا إذا أخضعنا مقـــــال "الوضع الآني" لهيمنة "الوضع التالي" المتمركز في عقل الأنا، فمقال التأمل بشقيه: النفسي (الســـيكلوجي) والاجتماعي (السوسيولوجي) بالقطع يعلن انتمائه الى تأمل "الوضع الآني" مدار البحـــث الذي نحوم في فلكه. والذي يشكل – بكل اجزائه – تمهيد "للوضع التالي" حيث تأملاتنا المستقبلية.

نأمل بعد هذا الايجاز، ان يكون ما نقدمه بين يدي (الآخر) فيه احترام لعقـــله، وتقديس لنفسه. هذا بعد النظر اليه من منظور إنساني مثقوب، يتساوى فيه (الأنا) والآخر) من منطلق انجذاب (الأنا) و(الآخر) نحو جاذبية واحـــدة، هي الجاذبـــية الإنسانية، بغض النظر عن المنظور الذي سينظر فيه (الآخر) لما قـــدمه (الأنا). ســـواء كانت نظرة وحـــدوية او انفصالية او عقـــلانية او دينية، او أياً كانت هذه النظرة.

ونأمل – مرة أخرى – أن يكون فيما تقـــدم بـــذره خير تنفع بـــني البشـــر في مسيرتهم الحياتية نحو اللامتناهى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

<u>الفصل الاول</u>

تأملات في الحياة من منظور سيكولوجي (نفسي)

"تمضي الحياة بطولها يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، في عملية توافق وتلاؤم بين المتغير وغير المتغير من أنفسنا، والداخل وغير الداخل من بيئتنا، فإذا خاب مسعانا بعض الخيبة كنا بلداء، وإذا فحش الإخفاق أحدثنا مس من الجنون، وإذا توقفنا عن السعي بعض الوقت علانا السبات، وإذا ألفينا عنادنا وأقلعنا عن الجهاد بالمرة قضينا نحبنا".

صموئيل بتلر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فعال في الوضع الآني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "١"

إشكالية التعايش

الجزء رقم (١)

الحياة – ليس جوهرها – بل رموزها الميكانيكية، المتمثلة بحيواناتها الناطقة الساذجة، تمارس ضدي حملة ألم شعواء لأسباب جد غير منطقية، لقد كانت هذه الحملة الشعواء "ردة فعل" لأفعال أو بالأحرى لأفكار توالدت من جمجمتي، لم تكن صاحبة حق مشروع، ولم تكن "ردة الفعل" هذه تحصيل حاصل. بل كانت بمثابة اقتحام تعسفي ارتكز على "اللامنطق اللامنطقي".

كنت طيلة فترة هذه الحملة التعسفية – والتي ما زالت تتوالد – أمارس حقي في المقاومة الميكانيكية، والتي كانت تستمد قوتها وجبروتها من جوهر الميكانيكا.

وههنا مكمن الخطور بين (الماضي) وبين (الماضي) –اي الآن– كان وكان تشرذماً من النوع المنفلت من عقاله الذي لا يمكن تشبيهه إلا بقمر صناعي او صرصار يتحرر شيئاً فشيئاً من عبودية الجاذبية الأرضية.

ربما يفهم من كلامي حقية هذا الحملة التي مورست ضدي كونها "ردة فعل" و "ردة الفعل" غالباً ما تأتي لتصحيح الاعوجاج حسبما تعورف على ذلك. لا ليس هذا هو الكائن، انما ما ينبغي أن يكون هو "اللاتسليم" بمسلمة "ردة الفعل" هذه، لكي لا يكون هناك تحكيم لمنطق التفكير الأعوج.

وبعد فإن الحياة اللارمزية بساذجيها، حياة متناهة التعاسة، خاصة عندما تفتقد الى رمز او بالأحرى عندما تفتقد الى رموز متمردة، نكون في موضع حرج ملغم لا يحتمل الا وجود هذه الرموز، لكن وللأسف البالغ السذاجة – المكرر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرتين – ما زالت هذه الرموز تعاني من "اللارمز".

السؤال المنطقي المفروض للبعض ان يسأله او يتبادر على الأقل الى ذهنه، ما هذا "اللاتجانس".؟

سؤال عميق ينم عن تفسير، تماما كالسؤال المقابل له.

ما هذا التجانس؟

السؤالان وجهان لمنطق واحد، لكن من الصعب ان نضع الاجابة بين قوسين مقفلين، لأن هذا التجانس "واللاتجانس" يحدث في جو عاصف لكنه محجم عن الامطار، تماما كجلسة "عصف ذهني" لا يتمخض عنها تفكير سليم، او بالاحرى لا يتوالد شيء سليم يمكن ان نسميه تفكير.

عراك فكري مجرثم قائم على التشرذم، او بلغة اكثر دقة، مهاترة فكرية بين المنطق واللامنطق، أساسها "الهو" و"الأنا" الذي عجز في مجموعه – أي الـ "نحن" – عن الوقوف في وجه هذا الشرك الممتد كلعنة الاساطير. عجز "الهو" و "الأنا" عن ايقاف هذا الشرك كان تحصيل حاصل، نتيجة الاستناد الى أسس لا تمت إلا إلى "اللاشيء" الفاقد لذاته. وبالتالي سيكون من الطبيعي ان يتقدم "الأنا" ويتخلف "الهو" ويتشرذم الـ "نحن" مع أن من طبيعتنا عدم تحبيذ هذا التخلخل الذي "قادنا" "يقودنا" "سيقودنا" – أي الآن – نحو البؤس المعلب بالقهر. وهذا البؤس جعل من الطبيعي ان لا تنظر الينا الحياة بعين العطف، وان نخوض مهاترات دامية من اجل الحياة، لكن من "اللاطبيعي" ان لا تنظر الينا الحياة بعين العطف.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عكس معكوس، في طرحنا سالف الذكر، كان قد نشا بــادئ بــدء من تعدي "الآخر" على موروثات "الأنا" ونتيجة لهذا التعدي كان لا بد للساذجين المهرطقين، من ان يمارسوا حقهم "اللامشروع" المتجسد بــعاصفة غبــائية هذائية. مركزها جماجم رديئة، هدفها "النخبة اللانخبة"قبل "الدهماء المدلهمة"، هدفها القــتل وليس التخدير. فكان هذا الطبيعي واللاطبــيعي، العكس المعكوس، قــد وضعنا كفصلة غير مرغوب فيها بين "الحق" و"الباطل" بين "الالحاد" و"الايمان".

ولكن وانطلاقــاً من طبــائعنا التي تدعو الى التمرد ضد الضد، فكائنة ما تكون شراسة هذا الضد، جدير بنا ان نقف ببربريتنا – بالمعنى المتحضر للكلمة – شامخين في وجه الريح الحارة، منطلقين من عقلنا اللاشــعوري، مســتندين على المنطق، متسلحــين بــضمير ذاتنا مدافعينعن ذاتنا، مقــارعين بــآرائنا دغمائية السذجاء الناطقين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء رقم (٢)

لأن الزمان الذي نعيش فيه ليس زمان الانكسارات الكبرى للعقل البشري، وليس زمان الوقوف باجلال امام عظائم الامور، بقدر ما هو زمان تتشطر فيه الاجساد الى جسيمات مزرية تتعرض لانتهاكات المارة، ولاغتصابات رواد المقاهي التي تقدم مشروبات تشرب بأحذية ملوثة بدم الحيض.

ولأن الزمان الذي نعيش فيه على هذه الشاكلة، أعني شاكلة بحيرات نيجيريا القذرة، يصير لزاماً علينا الانخراط بطوباويات الحضارة، وبدغمائيات المثقفين، وبصلافات الأعراف الاجتماعية النتنة.

هذا الانخراط يكون أو بالاحرى سيكون – يكون – نتيجة حتمية لأنخلاعك عما كنت عليه.وهكذا بقدر ما تتخلغ بقدر ما تنخرط، وبقدر ما تنفلت من عقابيل العقل الرجعي بقدر ما تنتقل الى ميادين "اللاتوقع" و "اللانحسار" في متون السطور والاوراق الملونة التي إن كنت لا تتقن التعامل معها فأنت مصاب "بعمى الألوان".هذا الزمان هو زمان تعملقت فيه اجساد الاقزام، هو زمن الخيانات العظمى التي تباركها الأيدي القذرة، وزمن شاخت فيه أوراق العقلانيين، وشبت قصاصات الدغمائيين.هذا هو حال الزمان الذي صنعه العقل المتناهي الذي ترعرع في اجواء ضبابية كثيفة مشحونة بارساليات تبشيرية. من غسيل للأدمغة وقصف للعقول وتقزيم منظم للأفكار. وايمان عميق "باللامعقول" الناقص عقلياً.

أمراض نفسانية وعقلانية تصيبنا، اذا لم ننخلع لكي ننخرط، تتجسد اكثر "ما تكون" "كانت" "ستكون"–أي الآن– فى دغمائتنا وبربريتنا وارهابيتنا.

أمراض ذهانية وعصابية – حسبما يدعون – تحدق بنا من كل حدب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصوب، ما تلبث ان تفكك نسيجنا النفسي الضاربة جذوره في مدارات "الانغلاق" و "التقوقع" و"الادراكات المغلوطة" والتشظيات الفكرية المبعثرة".ليس نسيجاً طوباوياً نسيجنا النفسي، لكنه نسيج اصابه الضمور لكثرة ما مورست ضده الخلاعات الفكرية والفظاعات الكتابية التي صيغت على قصاصات من الورق الرديء المصنع في معبد اشباه الثقافات، ومسوخات العادات المغلوطة، والتي صاغتها شرذمات من الواقعين في "فخ شبه العلم" - بتعبير نبيل علي - والمنخدعين بالخطأ التاريخي الوارد في متون الايقونات.انعكاسات وانشطارات متناهية الخطورة تعرض لها النسيج النفسي السليم الرافض لكل الأيدي القذرة التي "امتدت" "ستمتد" -تمتد - نحو مقدراته الأصلية، ومعطياته الثقافية الرهيبة.وكنتيجة حتمية لهذه الضبابيات التي حجمت مدى الرؤية عجزنا عن الحب والعطاء. عجزت "أنا" عن تقمص "الهو" وعجز "الهو" عن تقمص "الأنا"، مما شكل ركوداً تكافلياً، تقزمت على اثره المعطيات البشرية الراقية "كالحق" و"الخير" و"الجمال"، وتعملقت معطيات المافيا البشرية-كالبهائمية واللاعقلانية.

ليس عارياً هذا التأمل يتلقى دورة انعاش جسدي في الجحيم، كما انه ليس غراباً يحوم فوق الفردوس المنتظر، بل جزء من العكس هو الصحيح. لأنه تأمل في النص ذو الحيز الواقعي، على عكس ما قد يتبادر الى الذهن من أنه تأمل في البعد التجريدي.لجلاء الأمور، تأملنا يتعامل مع نص حياتي مفكك فرضته العادات الاجتماعية والضغوطات الثقافية، ولا يتعامل مع نص تجريدي صاغته افلاطونية المفكرين او سارترية الوجوديين او نيتشوية الوثنيين.فبقدر ما يتعامل "عما هو عليه الحال" بقدر ما يبتعد"عما ينبغي ان يكون عليه الحال"، وبقدر ما أصابه من شطحان، بقدر ما يتماهى ليتقزم ويتحجم، لكي لا يكون للناس عليه حجة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء رقم "٣"

عاجزون عن الحب، وتائهون في صحارى الجسد، وذلك كنتائج تمفصلت عن مقدمات مغلوطة، كسوء الفهم للأهداف الكبرى لهذه الحياة، والادركات الشعورية المغلوطة.

فالإدركات الشعورية المغلوطة تتماهى في العقول، وتتسامى او بالأخرى اخذت بالتسامي، باختصار ستتسامى – اي الآن – فوق المعقول، لتوصم عقولنا بمعقولية اللامعقول، او بالأحرى – منعاً للخلط- بمشروعية اللامشروع.

مرة اخرى، عاجزون عن الحب، ليس لضعف المثالية في ماهية الحب او لضعف الحب عقلاً وروحاً، بل لعدم تمرسنا على الاضطلاع بعظائم الأمور، ولإشكاليات نسجلها على الأفكار التي "كدسناها" "تكدسها" "سنكدسها" – أي الآن – في عقولنا، فهذه الافكار – على وجه الجملة – وقفت موقف المتخاذل العاجز عن الإلمام بمعقولية المعقول، او مشروعية المشروع.

وهذا التخاذل سيطر على كيمياء المخ فسبب انفلاتاً حقيقياً لموازين الامور، فترك الحبل على الغرب، فاصبح بالتالي هذا الفلتان لا فلتاناً، يقيس الأمور ويقننها ويمنحها ميزات هي في الأصل ليست ميزات، بقدر ما هي انحرافات وتجاوزات.

فالمنفلتون المتمفصلون او بالأحرى المنخلعون عن مدارات "اللاانفلات" والمنطلقون بالتالي الى قوقعة الانفلات، اصبحوا يتماهون في ضلالات من الزيف، وعتمات من الوعي الزائف، لا يلبثوا أن يعمموه على المجموع الاجتماعي ليصير بالتالي سمة ثقافية او عرفاً اجتماعياً يمارس ضغوطاته الاجتماعية على كل من يحاول الانطلاق بسرعة قمر صناعي في محاولة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للانفلات من عقابيل الانفلات، والعودة الى مدارات اللاانفلات.

للمرة الثالثة، عاجزون عن الحب، وذلك لفظاعة الحياة التي تصمنا بزيف المعتقدات، وبحقية الهرطقات والخزعبلات التي تجتاحـــنا من خلفنا وأمامنا وعن يميننا ويسارنا، فما أن تلبث واحدة بالانقراض حـــتى تطل علينا اختها اشـــد منها بأساً، وانتن منها رائحة، واقبح منها قلباً وقالباً.

هذه هي الحياة بمفرداتها الخشنة، اذا لم تقدم نفسك وعقلك قرباناً لمعابـــدها ومسارحها وباراتها، فأنت من المغضوب عليهم، عليك ازر المجوســـيين، توصم على جبينك بوصمة عار تحدد معالمها بخنجر مغولي مســـموم، وتلفظ الى مملكة الاقزام خشية ان تدوسك اقدام المتعملقين.

من جديد نعيد الكرة ونعود الى التأمل لنوجز فنقول:

اننا تعاملنا مع نص الحياة بصفته فضاء مثقوباً -بتعبير علي حرب- سمح لنا بالتمرد على هيمنات التقنينات، وبالتحرر من المطلقات وعبوديتها، والتعامل بالتالي مع جدلية الحياة بمرارة وقسوة، وخشونة مفرداتية، وقاعدة من المعطيات اللامعقولة، المحمولة على محمل المعقول.

كان هذا هو تأملنا منذ البداية وحتى النهاية، بـــكل ما فيه من اللامعقـــول واللامتوقع، والذي استفاد الى حد كبـــير من المعقـــول والمتوقـــع. وكان بـــكل كارزميته وعدم كارزميته، بـــكل انكســـاراته وانشـــــطاراته، يمثل تماهياً مع اللامعقول وحمله على محمل المعقول.

مختصر القول، طالما هناك عقل للعقول - بـــالمعنى الميكانيكي للجملة - طالما هناك ضد لهذا العقل يرفض ويشجب ويســـتنكر ويتمرد، ســـواء اخذ هذا الشجب والرفض والاستنكار والتمرد بعداً تجريدياً ام حيزاً مكانياً، ســـواء تراكم في خزائن الذاكرة، ام ترجم الى واقع ميكانيكي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاذا – عطفاً على ما سبق – كان مختصر القــول ما ذكر سابقــاً فمختصر ما قبــل المختصر لسنا نريد العودة بــمفرداتنا الى عصر البربــريات، لنعبــر عن عصر الحداثة. لكننا اردناها مفردات خشنة، ليس من منطلق ديكارتي – أنا خشــن اذا فأنا موجود –إنما اردنا التعبــر عن خشــونة الحـــياة، بخشـــونة مفرداتية ومرارة مصطلحاتية.

هذا بالنسبة لمختصر ما قبل المختصر، اما بالنسبة للمختصر الوارد بــعد ما قبل المختصر – أي مختصر المختصر فمحمول على التمرد والانفلات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "٢"

صراع الانخلاع ـ الانخراط

ان اللذعة التي تعترينا ساعة الانفصال او بالأحرى الانسـلاخ هي لذعة الرهبة، والاقتراب والابتعاد، وتقمص سكرات الموت، ساعة المتضادات التي تزلزلنا نتيجة تعريتنا من اقنعتنا التي يجرفها تيار "ما كان"، عليه. مهما كان "ما كان" عليه حتى ولو كان جاهلية او وثنية او كفراً او ايماناً او حباً او .... الخ.

فهذه "اللذعة" عندما تتقمصنا ونتوحد معها، تمنحنا ألماً ممزوجاً بتورد الجاهلية والحضارة معاً على لوحة الزمان المشطوب، ويخامرنا – في ذات الوقت– شعور بالرهبة والعظمة معاً يبقى محفوراً – بناء على ادراكاتنا وتصوراتنا – على لوحة فولاذية مصلوبة على مرايا الذاكرة، ولا سبيل إلى انزياحها أو زحزحتها من قمقم الذاكرة اللعينة حتى نبقى – على الدوام – نحن ان كنا مؤمنين الى كفرنا، وان متحضرين والى بداوتنا، ان عقلانيين الى عاطفتنا، وان كنا ملائكة الى شيطانيتنا – أعني نحن البشر–، ولنبقى ايضاً نحن او بالأحرى نتجرع مطاعيما من الألم الممزوج بلذة "اللذعة" والحنين بالتالي الى الزمن المفقود الذي يعشعش في الذاكرة مذ كنا لا شيء في الحياة السرمدية اللامتناهية.

وبرغم ضعف احتمالية زحزحة "اللذعة" الا ان الاحتمالية واردة فيما يتعلق بتنويم هذه "اللذعة" او تطعيمها بمطعوم الأفيون، حتى يصار بعد ذلك الى تدعيم هذا التنويم بادراكات وإحساسات تنعكس على "الأنا" حتى تغدو موحدة للانخراط و نابذة – في ذات الوقت – لـ "ما كان" من منطلق مواكبة الإنخراط بمعناه الظاهر لتطلعات الأنا وعجز ما كان – بمعناه الظاهر ايضا عن مجاراة حماقات "الأنا" التي اخذت تتداح كما العاصفة نحو نحت انجازاتها على كوكب يلتهب التهاباً، ايذاناً بانتهاء عصر السرمديات وعصر الـ "ما كان"،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والولوج بالتالي الى عصر اللوحة الأبدية، التي تعد بحضارة كوكبية "ينخرط" فيها الكل أو الــ-"نحــن" - أي "الأنا" والــ "هو" والــ "هنا" والــ "هناك" في محــاولة لردم هوة "ما كان" التي احدثها ما كانت عليه الشــعوب والتي أدت بــدورها إلى الاختلافات والمشاحنات والمطاحنات والحروب بين بني البشر.

إذن زحزحة "اللذعة" غير ممكنة، لأنها قد تكون الحق، وحتى ولو لم تكن حقاً، فمسألة الانخلاع عن الأصل صعبة جداً حتى ولو قبــع الرفض في ســجون اللاوعي، فهذا محمد صلى الله عليه وسلم يخبرنا بأنه قد بعث ليتمم مكارم الأخلاق "بعث ليتمم" وهذا عمر بن الخطاب يخبرنا ايضاً فيقول :" من لم يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام" حتى المسلم وان تجرأ وأعلن كفره، فإنه يبقى ولو على المســتوى التجريدي، أو بالأحرى يبقى هناك عبد داخله يعلن عبوديته لله عن طريق التعبــد والتوحيد.

وما ينطبق على المسلم ينطبق على غيره، فهذا "يوكيو ميشيما" يقــول:" لا يقــتصر دور الماضي على أنه قــوة تشــدنا الى الوراء، الى زمن مضى، ففي الماضي ذكريات بعينها، كأن لها زنبركات قوية عندما تمسها أيدينا".

ومن هنا يصعب على المرء ان يتحرر تحــرراً كلياً عن ماضيه او اصله، فالعبقري عندما يبلغ مبلغاً عظيماً من العلم والمعرفة، يبدأ بالحــنين على اثر ذلك الى "لاوعيه" حيث التدفق العفوي للمشاعر والأحاسيس والسلوكيات، وكأنه يصل الى ما يرشده بأن ماضيه أو "لاوعيه" هو قمة وعيه، بغض النظر عما قــد يصف الأخرون ما به من الجنون، والهذيان او الهلوسة، او المرض النفسي والعقــلي او ... الخ.

وما ينطبق على العبقري، ينطبق على كل شيء "انخلع" في فترة من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفترات الغابرة عن اصله، فهناك العقلانى الذي يحكم عقله في كل شيء، لا بد له من الحنين الى عاطفته، حتى ولو بلغ مبلغا عظيماَ من العقلانية. و هناك المتحضر الذي يحنّ الى بربريته، و هناك الإنسان الذي يحنّ الى حـــيوا نيته، و هناك و هناك و هناك، حتى يوم القيامة يحنّ البعض الى معرفة قصص الماضى التي حدثت فى "الوضع الآني".

فعلى ما يبدو ان فكرة رحـــلة الحـــنين الى الزمن الضائع، فكرة تتشبــث بعقولنا مهما ادعينا تحررننا من قالبها الذي يغلف ركوعنا وســجودنا وتنســكنا، وزندقتنا وبربريتنا، وكل هذه الأشياء التي تلذعنا بــلذعة الماضي، إذا ما توغلنا فيها، وسبحنا في ملكوتها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "٣"

التلقين والذاكرة

مخدوعون ان اعتقدنا بالمنطق القائل: بأن الماء لا لون له ولا رائحة ولا طعم، لأن الماء له لون لم يستطع العقل بعد ان يحدد سمات هذا اللون، وله رائحة وطعم، لكن نتيجة لتقدينا بقانون الحاسة الصارم حصل ما حصل.

هذا المنطق المتعلق بمنطق الماء، هو نفسه منطق المؤمنين بقوة الذاكرة، والكافرين بضعف العملية الفكرية، فالاشتغال على جبهة منطق الماء والمنطق المشابه لمنطق الماء، هو اشتغال يعمل على تنشيط الذاكرة، ويدفعها الى مزيد من حفظ المعلومات، لتبقى جبهة الذاكرة في نشاط دائم.

هذا الانخداع جعلنا او بالاحرى جعل العاملين على تنشيط ذاكرتهم، يقبلون -بطريقة مباشرة او غير مباشرة- على الشكل من دون المضمون، استناداً الى اسس العملية التلقينية التي تعمل او تدعو الى حفظ المعلومة دون فهم لهذه المعلومة او بالاحرى دون اخضاعها للتمحيص العقلاني.

بتعبير اخر، العملية التلقينية تطبع في الذاكرة معلومات لتخزينها وتبويبها واسترجاعها وقت الحاجة اليها. لكن العملية التلقينية لا تسعى الى اخضاع هذه المعلومات للتأمل الفكري والعصف الذهني.

اذن العملية التلقينية تسعى الى انتاج افراد ذوي ذاكرة سريعة الحفظ وسريعة الاسترجاع. اي انها تركز على انتاج افراد يهتمون بالجانب المرئي للمعلومة، لكنهم- اي الافراد سالفى الذكر- او بالاحرى لا يعنيهم الجانب

"اللامرئي" للمعلومة او جوهر المرئي، او يصبحوا غير قادرين على فلسفة المعلومة او البحث في كنه هذه المعلومة.

وهذا بدوره يؤدي الى تخبط في المخ البشري. اذ يتم التصعيد من حدة الذاكرة، في نفس الوقت الذي يتم فيه تناسي دور العملية الفكرية التي يمكن ان تبرر للفرد او بالاحرى تضع فلسفة للمعلومة التي يحفظها. بلغة اخرى، العملية التلقينية تنتج فرداً نشطاً ذاكرياً قادراً على حفظ المعلومة، وفي ذات الوقت يكون خاملاً فكرياً، ومن هنا تنشأ حالة الضعف الفكري التأملي لدى الفرد النشط ذاكرياً. اذ يعمد الى طرح اطروحته بناء على معلومة حفظها دون ان يعي او دون ان يكون قادراً على فلسفة اطروحته.

وعلى افتراض- جدلاً- ان من يتمتع بذاكرة نشطة المّ بشكل ومضمون المعلومة، فانه يكون ما يزال يعاني من حالة من حالات الوعي الزائف، اذ يكون قد حفظ المعلومة فعلاً وقد حفظ فلسفتها، او ألمّ بشكلها ومضمونها، لكنه ما يزال غير قادر على اخضاع هذه المعلومة (شكلاً ومضموناً) الى التأمل العقلي، والعصف الذهني، ليتأكد من مدى صلاحيتها او ضعفها ليتم على اثر ذلك قبول هذه المعلومة او رفضها.

وعلاوة على ما ذكر، يمكن للذاكرة – اذا ما تم الاعتماد عليها اعتماداً كلياً – ان تؤدي الى او بالأحرى توقع صاحبها في متاهات التخزين والضعف في تخزين المعلومات. والضعف في استرجاع المعلومات. هذا بالاضافة الى اشكالات الذاكرة القصيرة الأجل، وطويلة الأجل، وقد يصل الأمر الى فقدان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذاكرة، وحدوث كارثة بالتالي– تلم بذاكرة الفرد– تؤدي بمعلوماته الى الاندثار والانتحار، والتأثير بالتالي على الذاكرة كمعطى من المعطيات المشتركة بين بني البشر.

وفي هذا انتقـــاد جوهري للعملية التلقـــــينية، اذ انها لم تعمل على علاج الاشكالية علاجا احترازيا او وقائياً، ولم تعمل على نبذ حالة التخبط بـــين جبـــهة الذاكرة، وجبهة العملية الفكرية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمل رقم"٤"
"الوعي" و "اللاوعي"
في كتابة الشعر

ان الشعراء يولدون ولديهم القدرة على قول الشــعر في اي موضوع، لأن الموضوعات بمجملها تكون منطوية تحت مظلة العملية الفكرية بشقيها:"العليا" و "السفلي" وفي تقسيمنا لهذا العمليات ارتأينا ان نطلق على "العليا" منها اسم"الوعي" وعلى "السفلى" اسم "اللاوعي".

القصيدة بادي ذي بدء سواء كتبت في حــالة"الوعى" او "اللاوعي"، فانها تكون موجودة- في الاصل- فى عقل الشاعر اللاشعوري. لكن كيف يمكن لفكرة القــصيدة ان تترجم من منطقــة " الوعي" او "اللاوعي" الى ارض الواقــع؟ او بالاحرى كيف يمكن نقل فكرة القصيدة من "الحالة الشعورية"- الوعي واللاوعي - الى"الحالة الحسية"؟

لاحقا لبادئ ذي بدء يمكن لحدث ما ان يصنع نصا شعريا علويا او ســفليا خلا ان هناك اختلافا جوهريا بين الحدث الذي يصنع نصا شعريا علويا، والحدث الذي يصنع نصا شعريا سفليا.

فالحدث الذي يستطيع توليد النص الشــعري العالي "الوعي" هو "الحــدث الخارجي " الموجود ضن الاطار الخارجي للشاعر، او البيئة المحيطة بالشــاعر. لكن ليس لأي حــدث ان يولد نصا شــعريا بــليغا. فهناك- على رأي محــمود درويش- حدث يصنع نصا كبيرا، وحدث لا ينتج شيئاً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فحدث الانتفاضة الفلسطينية- على سبيل المثال- الهب الحس الشعري عند الشعراء- بعض الشعراء- وجعلهم يصنعون نصوصا شعرية ضاجعت عبقريتهم الشعرية فيها آلام الحدث وفظاعاته.

وفي المقابل هناك"حدث داخلي" يصنع عملا شعريا سفليا"اللاوعي". فهذا "الحدث الداخلي" يكون بمثابة ضغوطات عنيفة تمارس شرعيتها على عقل الشاعر، فتدفعه الى تقنين هذه الضغوطات ولجم مخاضاتها عن طريق توليدها واخراجها من رحم الشاعر الى بيت الشعر.

وهذا "الحدث الداخلي" يكون حكراً على الشاعر نفسه، فلا يستطيع ان يعيش اجوائه ويحيا ضبابيته ويتقمص ضغوطاته الا الشاعر الذي تعرض لهذا الحدث الجسيم، وليس لأحد – اي كان- ان يتقمص نفسية هذا الحدث. لأنه نفس خاص بالشاعر – اعني الشاعر الذي يلد قصيدة من رحمه – لأن قصيدة "اللاوعي" قصيدة خاصة جداً جوهرها ترجمة لسيكولوجيات الشاعر، بصفتها عاكسة لمجمل خبرات الشاعر الباطنية. على عكس قصدية "الوعي" التي تعتبر في جوهرها ترجمة لسوسيولوجيات الشاعر، لأنها تعكس مجمل خبرات الشاعر الظاهرية بعد اخضاعها لعبقريته الشعرية.

وحقيقة ان العمل الفكري العالي او بالأحرى "الوعي" بحاجة الى إعمال ذهني و فكري، وبحاجة الى جلسات "عصف ذهني" للحدث الذي اثر في الشاعر، ليمعن النظر في هذا الموقف المؤثر، بحيث يتمكن من غربلة افكاره في منظومة "الوعي" وما يتمخض عن هذه الغربلة من افكار يتم صياغتها على شكل قصيدة تجرد موقفاً عنيفاً.

بينما العمل الفكري السفلي "اللاوعي" ليس بحاجة الى إعمال ذهنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعصف للأفكار لأنه يتحدث عن العواطف والوجدانيات وآلام وزفرات الحب التي تتمركز في قلب الشاعر أو بالأحرى في منطقة "اللاوعي" (العقل العاطفي للشاعر). فالشاعر ودون وعي منه يمسك قلمه ويبدأ بكتابة قصيدة عاطفية يعبر فيها عما يتقد ويتأجج في عقله العاطفي الباطني. بعد ان يكون قد تقمص نفسية الحدث الذي مارس ضغوطاته عليه وجعله في حالة من "اللاوعي".

الدفقة الشعورية العاطفية

من غير الممكن لأي كان ان يفلت من عقابيل الماضي او من الحنين الى الزمن الضائع، اي الى لا وعيه، على اعتبار أن "اللاوعي" هو القاعدة التي يستند عليها البناء اي الوعي – في بلورة ذاته الى محسوسات.

وهذا الحنين الى الأساس الضاربة جذوره في قماقم "اللاوعي" يبدأ بممارسة ضغوطاته على الشاعر في لحظات تفكك وعي الانسان أو بالأحرى في لحظات تتشظى فيها الأنا الواعية لتبدأ مرحلة أخرى بالهيمنة على الشاعر، هي مرحلة الأنا اللاوعية.

والأنا اللاوعية هي مرحلة تبدأ بافراز دفقات الشاعر العاطفية على الورق، دون ان يكون هناك اجهاد تجريدي يستنزف سعرات الشاعر الفكرية، ودون ان يكون هناك جبهة يعمل عليها الشاعر، خلا جبهة عواطفه المستشعرة، اقول المستشعرة لجلاء الأمور.

وهكذا يتضح لنا بأن التدفق الشعوري مركزه العقل العاطفي او بالأحرى الانا اللاواعية، والتي تعمل بصورة ميكانيكية للضغط على مشاعر ووجدانيات الشاعر لنقلها بالتالي الى واقع حسي، أي ترجمتها على الورق، وهذه الترجمات تنساب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من انا الشاعر، نتيجة للحظات من الشـــوق الدائم الى معالم الأنا الأولية التي لا يحتاج فيها الشاعر الى إعمال ذهني او الى عرض نرجسيته الفكرية، سوى أنه يحتاج الى جلسة تفرضها مشاعره وعواطفه ووجدانياته الملحة، والتي تسـعى - على الدوام- الى تجسيد معالمها الدفنية وبلورة ذاتها.

وليس معنى هذا أن قصيدة "اللاوعي" قـصيدة لا واعية - بـالمعنى الضيق للعبارة- فقصيدة "اللاوعي" بقدر ما هي لا واعية - بالمعنى المتحضر - بقدر ما هي واعية تمثل حساً صادقاً نقياً غير متلاعب بسـجيته، على اعتبـار ان التدفق العاطفي ينطلق من منطقـــة صافية غير ملوثة، وعلى اعتبـــار - ايضاً- ان الفضاءات النفسية والأجواء الوجدانية الداخلية هي البـوصلة الموجهة لقـصدية "اللاوعي" ولا اعتبار فيها - في الوقـت ذاته - للفضاءات الاجتماعية والأجواء الثقافية الخارجية. ومن هنا وإذا اعتبرنا قـصيدة "اللاوعي" حـالة من حـالات الفوران النفسي للشاعر، وحركة مد عاطفي، فإنها تشكل بالتالي معلماً بـارزاً من معالم التعبـير عن جزء من اجزاء العقـل البشـري، اي ان قـصيدة "اللاوعي" استطاعت ان تشتغل على جبهة صعبة المراس، وتمكنت اثناء اشتغالها على هذه الجبهة من الالمام بجزء من جزئيات العقل البشري التي تكون موشحـة بوشـاح "الوعي" لفترة طويلة.

بلغة اخرى، قصيدة "اللاوعي" تمثل مرحـلة هامة جداً في فهم كنه النفسـية البشرية وتحديد معالمها. فـ "اللاوعي" بصفته المغذي لنوع من القصائد يعتبـر بمثابة العصور البدائية او السحيقة المجهولة التي اكتشف جزءاً من معالمها وليس كل معالمها.

وفي محاولة من "اللاوعي" في إفهام "الآخر" كنه معالمه، يعمل على إ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إخصاب بنات افكاره لتولد بالتالي قصيدة تفهم "الآخر" ولو نزرا قـليلاً من معالم اللاوعي، ومثال ذلك قصيدة بعنوان "ليلى" للشاعر "محمد ابو صبـح" جاء فيها:

تزوجت ليلى

ووحدي تركتني

حملت حقائب السفر

حقائب كثيرة

حقائب كثيرة

مليئة بالخطايا

مليئة بالخيانة ... لحبي

فهذه القصيدة كشفت عن مجهول – بصفتها متمخضة عن منطقة اللاوعي– يتمثل في ان الحقـائب يمكن ان تحـمل في متنها خطايا وخيانة تعصف بنفسـية الشاعر وتزلزل او بالأحرى تشظي وعيه وتدفعه الى تحميل الحقائب بـالخطايا والخيانات بدلاً من الامتعة وغيرها.

وعلى هذا يكون "اللاوعي" بمثابة مرحلة مجهولة غير مكتشفة المعالم، تعبر عن نفسها بما تمنحه للشاعر من جلسـة خرافية على اطلالها، يبـكي وينتحـب ويتجرد من اقنعته وتتزاحم اقدام الافكار الى مخيلة من حيث لا يدري، ويبدأ على اثرها بافراز شطحـاته وهلوسـاته ومعالم عالمة الآخر، ليظهرها للعالم ويتطلع عليها الآخرون، على شكل قصيدة ولا أجمل من شاعريتها، وحـالتها النفسـية، وضبابيتها الموشحة بوشاح أبيض مقدس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدفقة الشعورية العقلية

الوحدة الشعورية العقلية او المخ المفكر مركز او وعاء يحوي مجمل خبرات الشاعر في هذه الحياة، لهذا تعتبر هذه المنطقة مرتعاً خصباً لأفكار الشاعر المتزاحمة التي لا تلبث ان تنطلق من قمقمها الى فضاء مثقوب، يساهم في ابداع سمة ثقافية جديدة تشكل لبنة من لبنات المشهد الثقافي، فالمخ المفكر لشاعر من الشعراء مسؤول عن ضخ أفكاره او بالأحرى مسؤول – بصفته جزءاً من عقل الشاعر – عن بلورة أفكار الشاعر على المستوى التجريدي أولاً ثم المحسوس ثانياً ليكون المولود الجديد سالماً من الناحية الجينية لأن أي تلاعب بالمستوى الأول يعمل على احداث فظاعات – جسدية ونفسية وعقلية – بالمستوى الثاني.

وهذا التبلور لأفكار الشاعر او بالأحرى لقصيدته على المستوى التجريدي والحسي، بحاجة الى ضغط ميكانيكي يمارسه الشاعر على افكاره التي تعاني من الفوضى العارمة، ليعمل بالتالي على ترتيبها وتبويبها على الشاكلة التي يرتئيها. وربما هذا الضغط الميكانيكي هو ما جعل "فولتير" يقول: – في اعقاب اعتبار رجال الدين الفرنسيين زلزال لشبونه عام ١٧٥٥ عقاباً لأهل المدينة على خطاياهم وذنوبهم –.

أنا جزء من الكل الكبير
نعم، لقد حكم على جميع الحيوانات بالحياة
لقد ولدت جميع المخلوقات بمقتضى القانون ذاته
وهي تتألم مثل ومثلي تموت
يشد الصقر على فريسته الوجلة

ويطعن بمنسره الدامي اطرافها المرتعشة
ويبدو كل شيء على ما يرام في عينيه لفترة
ويمزق النسر الصقر الى قطع شر تمزيق
ويرشق الانسان النسر بنباله ويقتله
ويسقط الانسان في غبار معارك الحروب
ويختلط دمه بدماء القتلى مع رفاقه
ويصبح بدوره طعاماً للطيور الكاسرة ....

ان القصيدة في هذا المضمار – مضمار الوعي – تجسد موقفاً عقلانياً باطنياً انفعل – لكن بوعي – مع الحدث الخارجي، – أياً كان هذا الموقف (سياسي، اجتماعي، فلسفي، ... الخ) وراح يصيغه برمزيته الشعرية ليعبر عن حالة من الانفجار الداخلي – نتيجة التفاعل الوجداني الواعي مع الحدث الخارجي – الذي لا بد له من الانتقال من قوقعته المتمركزة في المخ المفكر الى مداراته المتحررة التي يعايشها كل من يعينه أمر صناعة المشهد الثقافي.

بلغة اخرى، فكرة القصيدة الواعية او المتوالدة من المخ المفكر، موجودة في الاصل تعيش في حالة فوضى، لكنها بحاجة الى مثير – الحدث الخارجي ههنا – لنقلها من حالة عدم الاستقرار الى حالة الاستقرار، لتعالج بالتالي، قضية من القضايا أياً كانت هذه القضية (اجتماعية، سياسية، فلسفية... الخ).

وبهذا تكون قصدية الوعي – المتمفصلة عن الوحدة الشعورية العقلية – قد تمخضت عن وعي كامل – لكنه نسبي – ساهم في هذا الوعي ثقافة الشاعر الواسعة وحسه المرهف وشعوره النامي بحجم الالم الذي يضاجع الموقف الذي يعمل على تجسيده في قصيدته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغالباً ما تكون حالات الوعي سبباً في ولادة قصائد سالمة جينياً وبـيئياً، ويتأمل منها زيادة وعي "الآخر" وزيادة تثقيفه، وتعريفه بالجوانب المظلمة لعصر التنوير، ليصار - بعد نمو الوعي الاجتماعي - الى تحرير "الأنا" من اخطبـوط "الآخر" والعمل بالتالي على تغيير "الآن" واستبدالها بـ"الآن" السليمة المتزنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

تأملات في الحياة من منظور سوسيولوجي (اجتماعي)

"لا يكون للحياة من قيمة، الا اذا كان لها غاية"

هيجل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معال في الوصع الآتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "١"

تربية الآباء قبل الأبناء

قد يبدو القارئ مشدوهاً للوهلة الأولى، فيقــول لنا: ما هذا "اللامنطق"؟ لكن وما أن يتمكن من سبر أغوار هذا الكلام، حتى يتلاشى هذا "اللامنطق" ويتبدد من مخيلته، ليعود من جديد، فيقول لنا ما هذا المنطق السليم؟

فالعلاقة في جوهرها بين الآباء والأبناء تبــادل منظم لنفس الدور في مدار النسق الاجتماعي، فالأب في طور من أطوار حياته يكون أبناً والابــن هو الآخر سيكون أباً في طور من أطوار حياته "الآنية"، لكنها لاحقة.

ومكمن الخطورة في هذا الطرح وتأثيره سلبــاً على مســيرة النســق الاجتماعي، ونشوء خلل فيه هو عدم كفاءة الآباء في القــيام بــأدوارهم كمربــي أجيال، أجيال غير خجولة ومستكينة، وواثقة من نفســها ومن دورها الأجتماعي، وقادرة -ايضاً - على التحدي والصمود للفوز بهذا التحدي.

وعدم كفاءة الآباء تنشأ بادئ ذي بدء من تقهقر الآباء أنفسهم، وعدم قدرتهم على صياغة شخصياتهم، بطريقة تمكنهم من انتاج جيل جديد قــادر على تحــمل اعباء الأمة، ومن هنا نصل الى أن تربية الأبناء مسؤولية الآبــاء، والعكس ليس بالعكس أي أن الآباء ليسوا مسؤولية الأبناء، فاذا تعاملنا بــهذا المنطق، فتربــية الآباء - موضوعنا هاهنا- مسؤلية من؟

إن مسؤولية تربية الآباء هي مسؤولية الآباء أنفسهم، فالأب قبل ان ينتقل الى هذا الطور - أي في الطور الذي كان فيه ابناً - يقع على عاتق أبيه تربيته تربــية سليمة غير متلاعب بنقائها، تتحد فيها متطلبات الجســد والنفس والعقــل ليكن تعليمه فيما بعد منسجماً مع التوجه التربوي السليم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا التوجه التربوي في تشكيل النفس والجسد والعقل تشكيلاً مستقيماً، يجعل من جيل الأباء جيلاً مهذب السلوك، انعكست نفسيته السليمة ايجابياً على سلوكه الاجتماعي، فاصبح عنصراً نشطاً قادراً على تحريك العجلة التنموية للأمة نحو الأمام من خلال مشاركته الفاعلة في تربية ابناءه تربية سديدة، بحيث يصبح الأبناء مورداً بشرياً يساهم بفاعلية متناهية العنف في العملية التنموية التي لا يكتب لها النجاح بدون المورد البشري، ومسؤولية الآباء في تربية الآباء -نفسياً وجسدياً وعقلياً - مسؤولية خطيرة وحساسة.

(خطيرة) فيما قد يتمفصل عنها من انعكاسات سلبية على الآباء، من هشاشة في ترويض - بالمعنى العقلاني للكلمة-النفس والعقل وترجمة هذه الهشاشة الى واقع قد يخلق مناخا استبدادياً، فمثلاً، ممارسة الاب العمليات الفكرية بالنيابة عن الآباء وهم في طور الابناء ، يجعل من هؤلاء الآبــاء مجرد آلات ميكانيكية تعمل بالريموت كنترول، وتصبح بالتالي غير قــادرة على الاعتداد بــالنفس، والتفكير بنمطق عقلاني.وابسط الصور التي يمارس فيها الآباء التفكير عن الأبــاء - أي ابناء الأن. أعني "الآن" بــالمعنى الضيق - تتمثل فى اختيار الزي والاصدقــاء، واحياناً تتدخل العناية الأبوية الدكتاتورية في اختيار شريكة الحياة.

أإلى هذا الحد وصلت الممارسات الأبوية الموسولينية؟ نعم، بل الى اكثر من هذا الحــد، ففي كثير من الاحــيان خصوصاً في المجتمع الريفي يعمد الأب الى وضع خطة تعسفية-بدون وعي عقلاني-يحــدد بموجبــها مستقبــل ابــنه-أب المستقبــل، ضمن معطيات الآن-الى ان يذهب الى مقبــرة التاريخ من تدخل في اختيار نوع الدراسة وبالتالى الوظيفة، والزوجة وبناء البــيت، وانجاب الاطفال ربــــــما يكون الأب ينجب اناثاً لكن الاب الهتلري يريد ذكوراً -هذه معضلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذن، لا بد من اعلان الزواج من امرأة اخرى.

لقد اصبحت العناية الأبوية التعسفية تتدخل في كل شيء الى درجة بناء امبراطوريات أبوية محاطة بقوة تعسكر بالقرب من تصرفات الأبناء، وتحكمهم - أي الآباء - "بقبضة من حديد مغطاة بقفاز من حرير".

و(حساسة) - ما زلنا نعني تربية الآباء فيما قد ينتج عنها -ايضاً- من انعكاسات سلبية، لكن في هذه المرة على "المجموع الكلي للأمة"، فتصبح غير قادرة - اي الأمة - على تكوين كل متكامل، وتتعرض بالتالي الى التمزق والتبعثر والاختراقات بكافة أنواعها، واشكالها، مما يؤدي أو بالأحرى يجعل الأمة تركض بجنون خلف شؤونها الصغيرة التي ترهقها وتبعثر قواها، وتجعلها غير قادرة على الانخراط في الاعمال العظيمة التي تخلد الامم، وتمنحها هوية تميزها عن باقي الأمم.

لقد تردت الصياغات الابوية للآباء، ولقد تصاعدت مصادرة الحقوق وعلى راسها الحق في التفكير، تحت مسميات فهمت بطريقة مغلوطة أمثال "العاطفة الدينية" و"الحق المشروع في الهيمنة الأبوية". فمن هذا ما نشاهده من الآباء في اسباغ هالة من القداسة حول انفسهم وتصرفاتهم، يباركها الابناء - طوعاً او كرهاً - اي الآباء - بموجب "صكوك العاطفة الدينية" التي يفسرها الأب بما ينسجم مع مصالحه اولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً والى ما لا نهاية، فعلى سبيل المثال نجد الأب يكره ابنته على اختيار شريك حياتها مفسراً الأمر بوجوب طاعة الأبن - ذكراً أو انثى - للأب لأنه أعلم بالمصلحة الدينية والاجتماعية.

يحملون هرطقاتهم على محمل الدين، ليجدوا مبرراً قوياً يساعدهم في فرض منطقهم يفسرون باسم الدين، والدين براء من هرطقاتهم ونظراتهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعسفية المزوجة بالغباء بأمور الدين وأمر الاجتماع.

وعلى الرغم من كل هذا إلا أن تربية الآباء قبل الأبناء، ليست عملاً فوق طبيعي أو علماً سحرياً، لا يتقنه إلا الفلاسفة والمشعوذين، بل هو على العكس من ذلك، حيث إنه عمل طبيعي يجب أن يتقنه الكل للمحافظة على الأسرة والمجتمع من الضياع والشرود الآخذ في الامتداد هذه الأيام نتيجة لضعف الاساليب التربوية في تربية الآباء، وعدم جديتها وجدواها. وهذه الاساليب التربوية الضعيفة والمتردية لم تأت هكذا بالصدفة او وصمتنا بها القوة العفريتية. بل إنها تراكمت في العقلية الأبوية عبر تاريخها القصير – والتي تعتبر في جوهرها امتداد للعقلية الابوية السالفة – الى درجة اصبحت معها هذه الممارسات شبه تقليد يلتزم بها كل من يحاول اجترار الحياة، وحقاً هذه هي الطامة الكبرى، فالآباء يعيشون "الآن" (الحاضر) والابناء سيعشون "غداً" (المستقبل) – كل هذا ضمن معطيات الوضع الآني – فالآباء الذي يصوغون ابناءهم – آباء المستقبل – بصيغة (الماضي) و(الحاضر)، ويتجاهلون – بوعي او بدون وعي – صيغة (المستقبل) هم آباء يسيرون في دائرة مغلقة لانعدام منطقيتهم وواقعيتهم.

وهذا التشرذم بين (الحاضر) و(المستقبل) هو الذي ينشئ حالة اغتراب بين "الآن" و"الغد"، يدفع ثمنه الفرد والمجتمع والامة.

ومسؤولية التوليف بين (الحاضر) و(المستقبل) بين "الآن" و"الغد" مسؤولية الجيل الأبوي الواعي المثقف والمنفتح على الحياة بدافع وضابط.

مسؤولية الجيل الأبوي الذي ينهل من (الماضي)، ويستفيد من (الحاضر) في تكوين قاعدة راسخة يستند عليها من اجل (المستقبل).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم"٢"

النساء وفخ الرجولة

على وجه الجملة، تمارس الرجولة ربوبيتها المقدسة على الجنس الانثوي، ليس من منطلق منطقي، بل من منطلق تعسفي مريض يعاني من ثقب في قزحيته عمل ويعمل على تخلخل في موازيين النظام الانثوي على المستويين المرئي واللامرئي.

فالرجولة تعود بشكلياتها- وفي كثير من الاحيان بمضامينها- الى العصور البربرية، لتجسد ذاتها بطرق غير مقدسة، معلنة في الوقت ذاته انها الانسب و الاصلح للوصاية على عرش مملكة النساء. ومن منطلق الانسب والاصلح المغلوط بدأت اقطاب الحياة- اعني الرجل والمرأة- بالتنافر والتضاد والتشرذم، فقامت حملات شعواء- يترأسها الجنس الذكوري- تطالب بحقوق المرأة التي يشوبها الحذر.

المشكلة تكمن في اقتناع الجنس الانثوي باكاذيب الرجال واخطائهم، وابقائهم- اي الجنس الانثوي- على هذه الاوضاع، وعدم سعيهم الى نسف هذه الاخطاء والاكاذيب بل يعملون على تقديس هذه الاغلوطات واسباغ هالة من الجلالية عليها، حتى غدت المرأة- مع بدايات القرن الحادي والعشرين- اكثر انقيادا للرجل من ذي قبل، على الرغم من كثرة المؤتمرات النسوية، والمهرجانات و اندية عرض الازياء والاجساد والافلام الهوليوودية، وغيرها الكثير التي توحي "قالبا" بانعتاق المرأة من معتقلات الرجل، على عكس "قلبها" الموحي بعودة المرأة الى عصورها الغابرة، وحنينها الى قوقعة الرجولة.

رغم هذا الا انه ليس ثمة مشكلة في ايمان المرأة بمنطقية الرجل المتمرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على احترام مقدسات المرأة والمضطلع بدور بطولي في حمل المرأة على حصانة الابيض واخراجها من قمقم العصر المظلم الى عصر المرأة الذهبي، لكن ثمة مشكلة- في المقابل نوجس منها خيفة- ساعة إيمان المرأة باشباه الرجال وبشكلياتهم التي تسعى الى تهجين المرأة وترويضها وتقنين شكلها الخارجي عن طريق رسم جغرافيا جسدها، والتعدي على معالمها الانثوية واكثر مايتمثل هذا التعدي في انماط اللباس النسوية التي يصنعها الرجال في معامل باريس وايطاليا واسرائيل في محاولة لانتزاع هالة القداسة عن الانثى والسعي الدؤوب الى عولمة جسدها ومصادرة هويتها.

هذا التعدي الذكوري يباركه الجنس الانثوي، ان لم يكن شكلاً فمضموناً، او العكس بالعكس، خوفاً على مصالحه مع قطب الحياة الاخر، وخشية ان يتهم بالرجعية والبربرية.

لذلك تعمد المرأة في كثير من الاحيان الى لبس لباس مخالف لمعتقدها وارثها الفكري والتراثي والاجتماعي من اجل التماشي مع الوضع السائد المنخلع عن ذاته فلا ا همية للانخلاع بقدر ما هناك اهمية للانخراط، لا اهمية للمبدأ او المعتقد طالما أن الكل يتمرد على هذا المبدأ الذي لم يعد له مكان أمام جهابذة البشرية من المنظرين في المؤتمرات النسوية، والمشرفين على مهرجانات التعري، والقائمين على حراسة افكار العالم الفذّ "سيغموند فرويد".

مقدمات رجولية خاطئة تمخض عنها بالضرورة نتائج انثوية خاطئة ، ابتداء من حملات تدجين العقل الأنثوي على الشاكلة التي يرتئيها الرجال، والانتقال بالتالي الى تدجين سلوكها، على اعتبار ان السلوك ابناً شرعياً للفكر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونتيجة لهذه الاغاليط كان لا بد للمرأة من الوقـــوع في مصائد الرجال، والاعتراف بقدرتهم على ابتكار الوسائل والادوات من اجل اذلالها واستعمارها، الى درجة اصبحت فيها النساء وكأنهن "مازوخيات" يتلذذن بالظلم الواقع عليهم من طغاة الرجال. واعتبار هذا الظلم نوعاً من التحضر والتمدن والتقـــدم الخروج من القمقم المسدود بسدادة المبادئ والعادات والتقاليد، فأصبح سير المرأة نحـــو الفخ الرجولي، نيشان تتفاخر به النساء دلالة على الانفتاح الحضاري، وعدم الانغلاق داخل حدود الموروث المبتذل البالي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم"٣"

المرأة بين الانخلاع والانخراط

دعونا نتفق- بادئ ذي بدء- على ان المرأة رجولة الانثى والانثى طفولة المرأة، وذلك منعاً للخلط بين المرأة كمحسوس والانثى كمتعال او بالاحرى كمجرد خشية ان نقع في "اللامنطق " وثأراً للامنطقيتنا نحمله- اي اللامنطق- على محمل المنطق لنصير من لامنطقيتنا منطقا لا منطقيا، تمخض عن مقدمات اولية تعانى من الفصام، ومنعاً للوقوع في هذه الخشية اشفعنا الطفولة بالرجولة وعطفنا الرجولة على الطفولة، ليكون لما ندلي به منطقيته وحسه السليم.

بداية تتشكل معالم الانخراط النسوي- مع التحفظ النسبي على اللفظة- السليم في مجتمع من المجتمعات عندما يكون هذا المجتمع نظيفاً بصرا وبصيرة، او بالاحرى عندما يكون طاهراً- ليس قذراً- فكرياً وسلوكياً كالمجتمع الاسلامي ابان العصر المحمدي الذي شرّع فيه قانوناً إلهياً لحماية المرأة من السلوكيات الوحشية التي مورست- مع نزع الاعتبارية الزمانية- ضد المرأة في المجتمعات البشرية قاطبة من اول الزمان الى آخر الزمان، كشكر "افلاطون" للرب على خلقه رجلاً وليس امرأة، والوأد الجاهلي للنساء، والجهود القائمة الآن الى عولمة جسد المرأة- بحسب تعبير يوسف القرضاوي- وفكرها.

وبعد التشريع الرباني- ابان العصر المحمدي- للنص- الضامن للمرأة حقوقها - جاء التطبيق المحمدي للنص الرباني وتحويله الى سلوك احترم المرأة، وعيّشها في جو اسطوري، عجزت عنه مثالية "افلاطون" وشاعرية "نزار" وورومنسيات العشاق في روايات الحب والغرام.

كان هذا هو اساس الانخراط حيث الطهارة والامان، اوبالاحــرى يصير الانخراط قاعدة في المجتمعات الطاهرة العذراء، يصبح الانخلاع بالتالي شذوذاً مرفوضاً نصاً وسلوكاً لكن الصورة ذاتها ينقلب منطقــها فى المجتمعات الضالة التي تتزعمها وتقوم على حراستها"كلاب قذرة". فالمرأة- في مثل هذه المجتمعات - مدعوة باستمرار الى ذبح منطقها، وطعنه بخنجر مســموم، فتجدها محــاطة بالعناية البشرية المتألهة ساعة خروجها على النص وكسرها للســلوك الســليم، وترعرعها في اجواء ضبابية غير ظاهرة المعالم لتبقــى على الدوام في دياجير الظلام، تعاني من انعدام الضوء نتيجة التعدي على المصادر الاساســــية التي تمدها- فسيولوجيا وســيكولوجياً وسوســيولوجياً- بــالعزة والكبــرياء وقــوة الشخصية، والنفاذ الخارق في هذه الحياة.

ومن منطق المنطق المقولب تبدأ المرأة في المجتمعات الضالة بالانخلاع عن ارثها البيولوجي والســيكولوجي، لتبــدأ مرحــلة جديدة- فرضتها الكلاب القــذرة- الانخراط في المجموع الاجتماعى هو الحــــل الوحــــيد، لتكون من دعاة"تحرر المرأة" على المستوى الجسدي، لتشكل بالتالى-نتيجة لهذا الانخراط- ازمة نفسانية ترهق المرأة وتحدث بلبــلة نفســية تضغط عل مناطق"اللاوعى" او "الشــعور الدفين" الذي يرفض مثل هذا الانخراط البربــــري. ونتيجة للضغط المتبادل بين "المجتمع القذر" و "مملكة المشــاعر"، ينخرق ضمير المرأة وتصاب بثقب اجتماعى جسيم، فتحاول تجسير الهوة الضميرية لكنها تفشل فشـــلاً ذريعاً، فتسارع بــالتالي الى ردم هوة الثقــب الاجتماعي، فتعمل على تحقــيق رفاهيتها الاجتماعية عن طريق تعريض جسدها للقيل والقال، والتنظير لهذا الجسد ومدحه والثناء عليه من قبل رجال الصحافة ومصممي الازياء النسوية، والرجال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المضطلعين بدور خطير في اشراك المرأة- كمضيفة او حاملة اوراق او مقدمةزهور- في الاعمال الرجولية الهزيلة.

باختصار، المرأة في المجتمعات المنخلعة تعاني من تخبط في منظومتها النفسية والاجتماعية، فالرجحان النفسي يسبب للمرأة نبذاً اجتماعياً عنيفاً، لأن الرجحان النفسي يعني العودة الى المنطق السليم، وهذا ما ترفضه المجتمعات القذرة التي تستهوي العمل على جبهة"اللامنطق"، لذلك تعمل على نشر ضغوطاتها الاجتماعية التي تسبب انتباذا مجتمعياً للمرأة المنطقية السليمة نفسياً.

اما الرجحان الاجتماعي فيؤدي الى ضغط الافكار المنطقية في "العقل اللاشعوري" على ممارسات المرأة "اللامنطقية" مشكلة بالتالي (التأنيب الضميري) للمرأة، خصوصاً بعد ان تكون هذه الضغوطات قد بلغت مداها وبدأت بالتململ كالمارد من فانوسها السحري.

القضية – اعني قضية الانخلاع والانخراط – تضطلع بدور متأله، يشرع قوانينه لانتهاك قداسة المرأة، خرق وشاحها الطاهر، وسيؤول هذا القانون المنخلع – الذي تحرسه الكلاب القذرة – الى تسجيل بطولات فاشلة لا تخرج منها المرأة الا بصليل السيوف الخشبية التي يصنعها الرجال خصيصاً لهذه المهاترات البطولية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "٤"

ارتداء عباءة الدين

انها لعنة النرجسية التي تلبست بين البشر على امتداد الزمان، في محاولة منهم لاعلان وجودهم داخل النسق الاجتماعي بمعناه الضيق والعريض، وعلى حساب من ، انه على حساب"الآخر". ولكن كيف السبيل الى اعلان الوجود الاجتماعي؟.

لا بد من كارزمية ما تضغط على "الآخر" ليصدق- طوعاً او كرهاً- او بالاحرى ليعلن وجودي او ليثبت نرجسيتي ولو تلمقاً او رياءً.

لا بد من عباءة حجازية اتستر بها على شيطانيتى، عباءة داكنة اخفي بها رقع جلابيبي، واخاديد جسدي، لأظهر بمظهر لائق امام"الدهماء"، ليبقى الجميع على احترامي وتقديري وتعظيمي بل وتأليهى. فانا- اي الأنا- لا اقبل بأن اكون باقل من إله اطرد الروح الشريرةا للعينة، فأعمد الى تبكيت اجساد النساء"بالابر"، لأنها التعويذة الانسب- من نظر المرتدين لعباءة الدين- لتطيهر المرأة المذنبة من الروح الشريرةالشيطانية التي تلبست جسدها، وبدأت بالتالي باحداث تأثير على سلوكها الاجتماعي.

انها ممارسات السلطة الدينية المغلوطة التي يمثلها الاغبياء من المتدينين، او قل: المدّعون بقوة منطقهم الديني، والذين يندفعون من منطلق غبائهم الديني الى اعلان حراستهم لمصالح الرب على الأرض، او المفوضون من قبل الله لرعاية المصالح – على حدّ تعبير لويس الرابع عشر – البشرية على الأرض، في سبيل تقويم السلوك، والارتقاء بالفكر. فهذا محرّم، وهذا محلل ليس لأن الدين يحلل هذا، ويحرم ذلك، بل لأنني – أعني الأنا – ومن منطلق تألهي الاجتماعي اريد ان اثبتَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجودي ، عن طريق اثباتي لقوة دينيتي وتفهمي لمضامينها اكثر من ذاك- اعني الآخر- لهذا اشرع في التحـــليل والتحـــريم من منظور ذاتي ، وليس من منظور ديني بحت.

ومن هذا المنطلق، يشرع الكثيرون- اذا ما شعروا بنقـــص ما- الى التدثر بعباءة الدين لتقيهم برد الشتاء، وحرّ الصيف، ولتحميهم من عقدة النقص الديني والاجتماعي، في محـــاولة- في الوقـــت ذاته- الى نفض الغبـــار عن الســـلوك الاجتماعي العفن الذي ابتعد عن"رحم الدين".

هكذا يعتقـــدون، واي اعتقـــاد يعتقـــدون؟ المرأة عورة، وتعلمها عورة، تمردها على العقـــلية الرجولية العفنة عورة، تفاهمها مع زوجها عورة، واقـــامة مؤسسة وحدوية بين الزوج وزوجته عورة.

وكذلك الحـــرية عورة، فحقـــوق الزوجة عورة، وحقـــوق الاولاد عورة استقلالية الابن عن الاب عورة.

كل شيء – من منظور المتدثرين تدثراً مصطنعاً بعبـــاءة الدين – عورة عورة حرام

، والحـــرام عار في الدنيا، وخزي في الاخرة كل شـــي من وجهة نظرهم عورة الا ما لا يعتبرونه عورة فليس مهماً ان اقهر زوجتي، واغتصب حقوقـــها، وأعلن مجزرة على جسدها، لأني أصلي، اية صلاة هذه؟

لا شك انها صلاة عفاريت!

ليس مهماً – ايضاً- ان اصادر حرية البنت والولد، لأن الطاعة واجبـــة، هكذا ذكرني "سماحة الشـــيخ..." عندما كان على المنبـــر يرينا اســـنانه العفنة، ويعرض لقـــوة دينيته المغلوطة، ليس مهماً ان اتهم "طه حســـين" – على سبـــيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المثال – بالجاسوسية الفكرية للغرب، لأن شيخي في تقويم سلوكي – الذي بلغ مبلغاً عظيماً من العلم من وجهة نظر الأنا – أخبرني بأن طه حسين" عورة. أنا لم أقرأ لطه حسين، لكنه قال، ماذا قال؟ قال ان طه حسين عورة اتقن الجاسوسية الفكرية. لماذ قال؟ هكذا اخبروه. أليس هذا تملقاً وتفيهقاً في اقماع الحديث، كما اخبرنا بذلك سيدنا محمد ناقل هذه الأمة – أعني الأمة البشرية – من دياجير الظلام الى قناديل النور.

أليس هذا عفن فكري في عقول المتملقين او المخفين لنازيتهم تحت عباءة الدين.

انها القرصنة الاجتماعية التي تتدثر بغطاء الدين. هي قرصنة، وهم قراصنة، هي وهم تخبط في العفونة التي مضى عليها امداً بعيداً وهي تقبع في جوف النسق الاجتماعي المريض.

إنه المرض جعل منا مصدقين لما بين ايدينا من الأغاليط والزندقات الاجتماعية والتي اصبحت اعرافاً ونظماً اجتماعية بعد ان ختمت بخاتم الدين. إنه ليس ختم الدين بقدر ما هو ختم قراصنة الدين، او الناقصين دينياً واجتماعياً.

انهم "كلاب الحراسة" التي جندت نفسها بطريقة دغمائية لحراسة ابواب الحصون الدينية،من منطلق ايمانهم "اللامحدود" وكشفهم لاسرار الدين عن طريق الكرامات والصلوات الصوفية، هذا بعد ان حرّفوا المذهب الصوفي، لضعفهم الإيماني، ولتمسكهم بتلابيب الماضي التليد الذي تعجز "الدهماء" عن مجاراته، وفك لبابه، على اعتبار انهم – اي قراصنة الدين –سيوف الله المسلولة – هكذا يعتقدون – لاقامة الحد الاجتماعي وتقويمه الذي بعد عن الدين – من منظورهم الشخصي – ويريدون ان يقوّموه – ايضاً من منظورهم الشخصي – ويعدّلوه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعتقلوه، ليكونوا كحصان طروادة الذي ينقلنا من "المدنس" الى "المقدس".

إنها تعويذة قراصنة الدين المخفين لفاشيتهم الاجتماعية والدينية فى سبيل درهم او دينار او اعلان "الأنا" من منطلق ميكافيللي.

واذا لم نعلن قدسية هذه "التعويذة" – لأنها آتية من قبل الرب بحسب منطقهم – فنحن زنادقة في الكفر والفسوق والفجور والعصيان.

غضب في الدنيا يحل بنا ويصيب وارثينا، وخزي في الاخرة مركزة الجحيم، حيث زنادقة الكفر امثال "ابو لهب" و"هتلر" و"هولاكو" و"ريتشارد: قلب الاسد".

إما ان نعلن الولاء للتعويذة او نتهم بالجاسوسية الفكرية او الاجتماعية، او نتهم ببعدنا عن الدين، ولهاثنا وراء الكفر والالحاد.

هكذا يرتأي "انصاف المتعلمين" او قل" – إن شئت– الذين أعلن العلم براءته من هؤلاء الموشحون بوشاح القذارة الفكرية والسلوكية هكذا يرتأي قراصنة الدين، وهكذا يعتقدون!.

واي اعتقاد يعتقدون؟ لا اعلم، سوى انه اعتقاد المنخلعين عن الدين، او بالأحرى اعتقاد حفنة من المتشرذمين الذين عشعش الغبن والغباء في عقولهم الحديدية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "٥"

بين الخطاب الثقافي والسلوك الاجتماعي

تجيء الثقافة فى مرحلة من مراحل العمر - المرحلة الحرجة الممتدة على طول الوضع الآني - لترتقي بالفرد فكراً وسلوكاً، ولتنقله من عصور الانغلاق والبهائمية البربرية الى عصور الانضباط والعقلانية المتحضرة.

وتجيء - مرة اخرى - لتعدل او تقوم او تبقى او تنسف فكرة من الفكر او سلوكاً من السلوكيات، أيا كانت هذه الفكرة او هذا السلوك فالفرد ينفرد بالثقافة لأنه "خليفة الله" في أرض الله، وبحاجة الى معينات تعينه على إعمار الارض، وتقويمها لصالح بني البشر وينفرد ايضا بالثقافة، لأن معطيات الإنسان - كالفكر مثلاً - ترفض ان تبقى مطبوعة بطبائع العصور البدائية، او بالأحرى يتمرد الإنسان على عالم الحيوانات بفضل ثقافته الواسعة التى تمده بالغذاء الفكري الذي يميزه عن الحيوانات وبهائميتها، في التعامل مع الاشياء، فالإنسان يشترك - على سبيل المثال - مع الحيوان بشيء اسمه "الغرائز" لكن الحيوان يتعامل مع هذه "الغرائز" بمنطق بهائمي، اذا جاز التعبير، بيد ان الإنسان - ونتيجة لاكتسابه ثقافة واسعة - يعمل على التعامل مع هذه "الغرائز" بمنطق عقلاني متحضر، كتعامله مع "الغريزة الجنسية" أو "غريزة الجوع" أو ..... الخ.

لكن وللأسف - لكنه طبيعي - فإن بني البشر يتفاوتون في اكتسابهم لهذه الثقافة، فمنهم من يبقى على حنينه، للبربرية الحيوانية، وذلك نتيجة لضعف "ثقافته المكتسبة"، ومنهم من يبدأ بالحنين الى العهد الملائكي النزيه، نتيجة لتمرس الثقافة او لتفشيها - بالمعنى المجازي للكلمة - في عقله ونفسه، ولنأخذ مثالاً عل ذلك، وليكن "الغريزة الجنسية".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالافراد الأقل ثقافة يعمدون الى حيوانيتهم عندما يبدأون التعامل مع هذه "الغريزة"، فمن منطلقهم البربري، لا حرج في ان تمارس هذه "الغريزة" في الازقة والشوارع المظلمة، وعلب الليل"، حيث الكلاب تنبح وتشهق، وتتعدى الى ارتكاب مجزرة رجولية حيوانية على جسد المرأة، حيث قرقعة السيوف المغولية الممزوجة بالرائحة القذرة لمخلفات الشعوب النائية. لا بد ان يحدث هذا الخراب وهذا القحط لأن الفكر خرب نتيجة لبراءة الثقافة منه، ومن اجوائه الدنسة الهمجية، لكن الشأن مختلف لدى الانسان المثقف الذي بلغ مبلغاً لا بأس به من الثقافة، فهو يسعى الى تقنين هذه "الغريزة: وضبطها، والتعامل معها بتعقل، اذ يعمد الى ممارسة سلوكه الجنسي بعيداً عن البربرية، عن طريق حفظ الذات التي ترتبط برباط مقدس بالمؤسسة الزوجية التي تجمع بين الرجل والمرأة ضمن معطيات عقلانية خيرة، لتكوين مؤسسة سليمة تساهم في ضبط السلوك الاجتماعي.

المنطق يصبح معكوساً ساعة تعري الانسان من رداء الثقافة، فهو بالضرورة يسلك سلوكاً حيوانياً، من منطلق عدم التفريق بين الانسان والحيوان، الا بالعملية الفكرية التي تغذيها الثقافة، وتزودها بالسعرات الحرارية الفكرية التي تعمل على صقل السلوك وتقنينه، ضمن منطق بشري جميل يساعد على تقويم السلوك الاجتماعي ككل، والذي يؤدي بدوره الى صلاح المجتمع، وبعثه للحياة من جديد، بعد ان كان ممسكاً ومتمسكاً بتلابيب البربرية الحيوانية.

اذن وبناء على ما سبق نصل الى منطق يقول: بالضرورة تساهم الثقافة في تحسين السلوك الاجتماعي، وتوظيبه التوظيب الأمثل من اجل تحقيق نقلة نوعية تعلن فيها البشرية انفصالها او بالاحرى تحررها من ربقة العصر المطحون،

وانضمامها بالتالي الى العقلانية البشرية، بمعناها المتحضر. بتعبير اخر، تلعب الثقافة دوراً متناهي العنف في نقل السلوك الاجتماعي من "عفن" البهائمية الى "بنسلين" الحضارة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأمل رقم "٦"

معقولية اللامعقول

الجزء الأول: هدم البناء

ان هذه الطقوسية الرهيبة التي تفرضها الثقافة الاقوى على الثقافة الاقل شأناً، تشكل معتقلاً مظلماً يتمركز في جوف معبد خالٍ من القناديل والشموع وأعياد الميلاد، وفي الوقت ذاته تفوح منه رائحة الخزي والعار واللامعقول.

لكن الحاصل هو تحميل هذا الخزي والعار على محمل الحب والجمال والرقي، مثلما يحمل اللامعقول على محمل المعقول. ليصير الخزي والعار حباً وجمالاً، واللامعقول معقولاً. يورّد الى شعوب العالم الأقل حظاً، ولا مناص من قبوله. طوعاً وكرهاً – لاسباب سياسية او اقتصادية او عسكرية .... الخ.

ان هذا الفوران اللامعقول – المحمول في الوقت ذاته على محمل المعقول – المتمثل بالاختراقات الثقافية، استحدث من اجل – بعيداً عن كل الاسباب الأخرى – (أدلجة) العقل العالمي بالايدلوجية الاقوى – الرأسمالية ههنا – في محاولة للهجوم على اطلاله الباقية له من اجل تعميرها او بالاحرى تدجينها ضمن ما ترتأيه عساكر (الأدلجة).

بتعبير اخر، حملات الاختراقات الثقافية تسعى الى تهجين عقل "الآخر" ليكون صالحاً لتطعيمه بافكار الايدلويجية الرأسمالية من اجل إحكام السيطرة عليه–اي على عقل "الآخر" ليكون امتداداً لعقل "الأنا" او بالأحرى يصير عقل "الآخر" فرعاً تمفصل عن عقل "الأنا" يعلن على اثره عقل "الآخر" فروض الطاعة لعقل "الأنا" ولا يجوز له في الوقت ذاته – اي لعقل الآخر – ان يتخذ قراراً سيادياً – كامتلاك اسلحة نووية – دون موافقة عقل "الأنا" من منطلق الضعف الجيني في خلايا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرع – اي عقل الآخر – المستنسخ عن "الاصل" – اي عقل الأنا – السليم جينياً.

وعلى اثر هذا دمغ عقل "الآخر"، بدمغة رديئة جعلته يبتعد عن المعقـــول، ويرفضه، وبشغف يطلب اللامعقول ويلهث خلفه لهاثاً مهلكاً، كابتعاده عن الحـــق والمنطق العقلاني، والاهداف الكبرى لهذه الحياة، وسعيه الدؤوب نحو الارهابية والانفتاح الجنسي وتذكير الاناث وتأنيث الذكور، وتقليد "الأنا" واجترار مضامينه المخزية بالتالي.

فعقل "الآخر" يسعى الى صقل ذاته على شاكلة عقل "الأنا" بغض النظر عن شرعية منطقـــه او دغمائيته، لأن عقـــل "الأنا" اخترق عقـــل "الآخر" واستبـــاح محارمه، وتركه يعيش في حالة من الضبابية السوداء. صار على اثرها بحـــاجة الى نور "الأنا" وقـــناديله. خوفاً على نفســـــه من كلاب الليل الضالة، بـــــيد ان الاختراقات الثقافية يرفضها الحس الانساني الســـليم ويقـــذف بـــها خارج نصه، لاستنادها على اسس غير معقـــولة واعتمادها على ادوات ووســـائل محـــرمة – كغسيل المخ والحرب النفسية وقصف العقل – في تحقيق غايتها، الا ان الحاصل – في عصر العولمة – هو ايجاد تبريرات لهذه الاسس اللامعقولة. لجعلها معقولة يستسيغها العقل والمنطق، ولا تعود مرفوضة من قبل "الآخر"كتبـــرير الاختراق الثقافي لثقافة من الثقافات بأصوليتها –أي الثقـــافة المخترقـــة–ورجعيتها، وعدم تمكنها من الوقوف على قـــدميها في ظل العولمة والانفتاح الاقـــتصادي والتدفق الحر للمعلومات. ولهذا لا بـــد من اعلان وصاية الثقـــافة "أ" – أي الأنا – الثقـــافة الأقوى والأرقى على الثقافة "ب" – أي الآخر" الأقل شأناً. لتعمل الثقافة "أ" بالتالي على نقل الثقافة "ب" من ثقافة اصولية ورجعية الى ثقافة "متحضرنة" قـــادرة على الاعتماد على نفسها في ظل مفاهيم كالعولمة وغزو الفضاء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكنتيجة لهذه الاختراقــات المبــررة، تردت الصياغات الثقـــافية (المأدلجة) لأنفصالها – بادئ ذي بدء– عن كينونتها، وابــتعادها عن محــورها الذي كانت تتمركز حوله وقت نشأتها. فحصل ان تردى المشهد الثقافي، واصبح على درجة من الوهن والضعف، الى درجة اصبــح معها يرحــب بـــالانضمام الى ركب المتعولمين، ليس لأنه يريد أن ينفتح على العالم من منطلق قــوي، ليســـتفيد من نتاجات الثقافات الأخرى، بل لأنه – أي المشهد الثقافي – مجروح، ويحــاول أن يعالج الجرح بجرح آخر، فبدل ان يعتمد على نفسه في صناعة ثقافية جديدة، فإنه يسعى إلى الثقافات الاخرى ونتاجاتها من اجل معالجة نزيفه الثقافي.

وهذه هي الطامة الكبرى وقمة اللامعقول، اذ يتم اقناع شعب من الشعوب بأن ثقافته قادرة على صياغة مشهدها الثقافي، وهي في الأصل تستمد مشـــهدها الثقافي من ثقافة اخرى، أعتقد انها –هذه الأخيرة– الثقـــافة الطاغية على المشـــهد الثقافي العالمي، والأرقى في ذات الوقت.

ومن هذا الاعتقاد تتمفصل قيم ثقافية جديدة تخترق الثقافة الأم ترعاها–اي ترعى القيم الجديدة– وتحرسها عناية المطبّعون سياسياً بعد ان تم تطبيعهم ثقافياً. فهؤلاء المطبعين يعملون على تحميل هذا اللامعقول على محــمل المعقــول. اي يحملون القيم الثقافية الجديدة على محـــمل الانتاج الثقـــافي الجديد الذي ابـــدعته عبقرية الثقافة الأم، وتحمل ايضاً على محمل الرقي والتقـــدم والانفتاح ومواكبـــة التطور العالمي.

لكنهم اي المطبعون ايدلوجياً بالاحرى يرفضون الاعتراف بتحـــميل هذه القيم على محمل الانصياع والانخلاع والتشرذم والانفصام واجهاض الثقافة الام، وغيرها من المصطلحات التي تنذر بخطر بربري، واقتحام تعسفي للثقافة الأم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء الثاني: الهدم من اجل البناء

ليست- على الدوام- نظرة تشاؤمية، نظرتنا الى اللامعقول، من منطلق ان اللامعقول- خصوصاً في عصر العولمة- معقولا، والمعقول ليس معقولا. وهذا الاخير هو المعقــول الصحـــيح لأنه صالح وفرعه صالح. لكن المتلاعبـــين او بالاحرى المشتغلين على جبهة التحريف عملوا على زحزحـــة هذه الاشـــكالية، وتحويلها الى منطق سليم يتمخض عنه مفاهيم جديدة تعترف بمعقولية اللامعقول، وترفض- في الوقت ذاته- لا معقولية المعقول. وتصبح هذه المفاهيم قانونا ملزماً لكل العقليةالبشرية، علىوجه الجملة.

وكل من يحاول الطعن بهذه المفاهيم، فهو اصولي ورجعي متمسك بعقلية بربـــرية يبقـــر بـــطنه وتلفظ مكنوناته الى بحـــيرات التماســـيح، وتفرض عليه الحصارات، وتحاك ضده المؤامرات ليبقى خارج النص الحـــضاري، ينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار.

انها المؤامرة الدنيئة التي حاكتها"الايدي القـــذرة"- من منظور معقـــول- والايدي الطاهرة النقية، من منظور غير المعقول- ليبقى النص الثقـــافي "للأنا"- بالمعنى المعطى هنا- نصا هامشيا مبتوراً، تتقاذفه مياه البحيرات القـــذرة التي لا يعيش فيها شيء سوى الجراثيم والحشرات والنصوص الهامشية التي تنتج اشباه مثقفين، وانصاف متعلمين، وبالتالي انتاج مشهد ثقافي بقدر ما هو"تراجيدي" بقدر ما هو مزر ومسل وقبيح.

انها الأيدي المخربـــة التي تحرســـــها ذئاب الظلام التي آمنت بالقـــــوة الرصاصية للكلمات، ومن منطلق ايمانها اخذت برشق ثقافة "الآخر" بقوتها وبقوة فكرتها، واقناعه – أي الآخر- بمدى تطور هذه الفكرة –رغم دغمائيتها- وتقدمها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومواكبتها للتدفق العلمي والمعرفي.

انها النرجسية الثقافية التي تسعى الى تأليه ذاتها، لتعلن بالتالي باقي الثقافات تربيب هذه النرجسية. ليبقى هناك- على الدوام- اسياد وعبيد، مطبعين ومطبعين ليبقى هناك "ساديون"و "مازوخيون". ساديون يتلذذون بايقاع البهتان على"الآخر". ومازوخيون يتلذذون بوقوع هذا البهتان عليهم. ليس لأن طبائعهم تحب او تحبذ هذا البهتان. بل لأنهم طبعوا على هذا التلذذ الى درجة تحبيذه، والعمل على تطبيقه.

وهذا بحد ذاته خرق للمعقول المنطقي، وتصعيد للامعقول الدغمائي الذي يروض النفوس، ويدجّن العقول، ويستبيح منطقه المعقول، ويفتح على جبهتها مجزرة فكرية (تؤدلج) العقل بفكرة واحدة، هي فكرة الانخلاع عن المعقول، والاندماج بالتالي مع اللامعقول.

لهذا كان القائمون على نشر فكرة اللامعقول، يعملون على تحقيق غايتهم بوسائل ميكانيكية. لكنهم انتبهوا الى حدوث خلل في "استراتيجيتهم" نتيجة لضعف "تكتيكهم " الميكانيكي. فعمدوا الى الوسائل النفسية والفكرية التي تسعى الى تطويع الفكر وتهذيب – بالمعنى البربري للكلمة – النفس، للتوصل الى تقنين السلوك – حسبما خطط القائمون على ذلك – واستعمار النفس في محاولة لمنع حدوث أي خلل أو ضعف في الاستراتيجية الدغمائية اللامعقولة التي تسعى دوماً الى لفظ عوادمها الايدلوجية والسلوكية، ونتاجاتها الثقافية الى شعوب العالم النائي المعدم الذي يعيش في البقاع الخربة التي تعاني من انكماش دائم في مواردها وكوادرها، نتيجة لضعفها الحضاري، وانخلاع نصها الثقافي المتمفصل عن فكرته، ونسيانها لحاجاتها النفسية والروحية، وسعيها نحو او بالاحرى تطلعها نحو"تقليد" حضارة "الآخر"الاكثر رقياً وتطوراً وانفتاحاً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء الثالث: انتحار المشهد الثقافي

إنها الغاية التي جندت من اجلها كل الوسائل المحللة والمحرمة من منطلق "ميكافيللي" الغاية تبرر الوسيلة، في سبيل احداث اضطراب نفسي سوداوي، يدفع المشهد الثقافي الى الانتحار، قد يكون انتحاراً ايجابياً على طريقة "دوركايم" في الانتحار، او ربما يكون انتحار في سبيل المحبة، والمحافظة على الثقافة الأكثر رقياً وطغياناً.

هذا ويحدث تشويش في العقل المفكر للأمة عندما تقتحمه الثقافات الدخيلة عن طريق حملات الغزو الثقافي او عن طريق البعثات التعليمية، فالأولى – أي الغزو الثقافي– تستهدف النخبة المفكرة او العقل المفكر للأمة، قبل استهدافها للدهماء. لان استهداف النخبة المفكرة يعني استهداف القوى الثقافية والسياسيةو الاقتصادية وكل من يساهم في صناعة المشهد الثقافي.

ويعني استهداف النخب– ايضاً– استهداف العقل الكلي للأمة، بصفتهم قادة رأي لهم تأثيرهم وكارزميتهم على افراد المجتمع. لهذا يعتبر استهدافهم استهدافاً للكل، اما الثانية– اعني البعثات التعليمية– فتستهدف النخب التي تم تطبيعها بثقافة ما غير الثقافة الأم. فهذه النخب تشكل مادة دسمة– بالنسبة للآخر– اذا ما تم التأثير عليها لأنها ستعمل على نشر ثقافة "الآخر". اذا ما عادت الى موطنها وهي محملة بالقيم الثقافية الدخيلة بالنسبة للثقافة الأم.

وهنا يحدث موقفاً سوداوياً بالنسبة للمشهد الثقافي، اذا تعمد هذه النخب الى وضع حلول لمشاكل الثقافة الأم بناءً على خبراتها السابقة التي تعلمتها من ثقافة "الآخر" وفى هذا خلخلة للمشهد الثقافي اذ يصبح هناك انفصام بين"ماضيه" وبين "غده" "فماضيه" من ذاته و "غده" من ذات غيره. اذ ان من يضع "غداً للأنا" يكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاهلاً "بماضي الأنا". فمحاولة وضع حلول مستقبلية- على سبيل المثال- للوضع الثقافى العربى- من قبل النخب خريجة المدرسة الألمانية على سبيل المثال- بناءً على خبرات المانية يصيب المشهد الثقافي بحالة من الشيزوفيرينيا"الانفصام"تمفصلت عن تشرذم بين "الماضى" وبين "الغد" لأن خريجي المانيا- على سبيل المثال لا الحصر- خبراتهم الماضوية ألمانية وليست عربية، ومن هنا ينتج الخلل السوداوي.

هذا بالاضافة الى ما قد تفرضه النخب السياسية والثقافية والصحفية والاقتصادية، وغيرها، من قيم ثقافية مستوردة على المشهد الثقافي الأم. فتضعه في خانة الحرج الثقافي. اذ يصبح غير قادر علىتشكيل ذاته، فيشعر بالنقص الوجودي، مما يدفعه الى تبديد هذا النقص، بتنحيه نفسه عن ابداع صياغات ثقافية جديدة تجعله معتمداً بالتالي على ثقافة"الآخر" في اعلان ذاته وتحقيق وجوده.

من هنا يتضح لنا بأن المشهد الثقافي يعانى من حالة تدعى"الانتحار الثقافي" ساعة اعتماده اعتماداً كلياً على القيم الثقافية الأخرى في بلورة ذاته، ومسيرته في الركب الثقافي على المركب الثقافي الخاص"بالآخر". لأن مركبه الثقافي- اي المركب الثقافي "للأنا"- يعاني من ثقب في مخه المفكر. فهو ليس قادراً بالتالي على حمله- اي حمل المشهد الثقافى- على محمله ونقله الى الميدان الحضاري، الذي يخلّد الثقافات التي تعقدت وتطورت وساهمت في اضافة معان جديدة الى بني البشر، وساعدتهم وتساعدهم في الانتقال من"الآن" الى"الآن" المستقبلية الافضل والارقى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزء الرابع: دعوة الى الانفلات والتشكّل بالتالي

لن نستطيع ان ننفلت من القوى التى ننجذب نحوها الا اذا توغلنا وتقمصنا نفسية تلك القوى وعقليتها. فبادئ ذي بدء نحن مدعوون الى تقمص "الآخر" لنتمكن من دراسته بمنطق عقلاني يمكّننا من معرفة مواطن قوته ونقـــاط ضعفه. لنعمل بالتالي على التحرر من هيمنات "الآخر" التي استباحت محارم مشـــهدنا الثقـــافي وساقته الىمقابض الجلاد التي حكمت عليه بالانطمار والاندثار والانتحـــار. لكي لاتقوم له قائمة بين الامم والشعوب. لكن السؤال المطروح، كيف لنا ان نتقـــمص "الآخر" ونتوغل في عقليته؟

اولاً: مدعوون الى الاطلاع على تراث "الآخر" وثقافته، ونتاجاته الفكرية والادبية، لنتمكن من قـــراءة افكاره، ومعرفة الوضعية التي يتشـــكل منها عقـــل "الآخر" ليصار بالتالي الى وضع فلسفة جديدة يحـــدد بموجبـــها كيفية التعامل مع "الآخر" ومع نتاجاته.

ثانياً: التعامل بحذر شديد مع بعض النظريات والافكار والفلســـفات التي تورد الينا، سواء نقلت الينا عن طريق النخب او قادة الرأي او الوسائل الاعلامية المختلفة فهذه الافكار يمكن ان تحدث بلبلة اثناء صياغة المشـــهد الثقـــافي، اذا ما تعومل معها بعشـــوائية، او بـــــمنطق ضعيف، كما يتم التعامل- الآن- مع فكرة "عولمة اللغة"، اذ يتم التعامل مع هذه الفكرة بمنطق ناقـــص وضعيف، يعاني من ضعف في رؤية الاهداف التخريبـــــــية لهذه الفكرة ولكل الافكار التي هي على شاكلتها.

ثالثاً: التحرر من الافكار السوداوية التي تسيطر على "الأنا" وتعيشـــه في جو من الظلمات، كفكرة رقي الرجل الابيض، وتخلف باقي الشعوب، فهذه الفكرة - على الرغم من بساطتها- جعلت "الأنا" يؤمن بضعفه، وفي المقابل يؤمن بقوة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

"الآخر" وقدرته على قيادة نفسه وقيادة "الآخر"- اي الأنا ههنا- من منطلق قواه المتحضرة عقلياً وميكانيكياً.

لهذا فدعوة من هذا القبيل تجعل من "الأنا" قوة منافسة "للآخر"تؤمن بنفسها وقدرتها على تحقيق ذاتها، وصقل شخصيتها، وبلورة مشهدها الثقافي بعيداً عن تطفلات"الآخر" وتراتيله.

قد تكون هذه الاشياء- بالاضافة الى ملايين الاشياء الاخرى-"التعويذة "الانسب للتحرر من القوة الشيطانية التي استباحت قوة"الآخر" وتركتها اشلاء يزور اطلالها- بين الحين والآخر- عفريت من عفاريت الانس ليدوسها بقدميه القذرتين لتبقى على الدوام محفوفة بالقوة العفريتية التي لا تعرف الا الخراب.

ربما هذه الاشياء تمثل"تعويذة" مناسبة تحمينا من الشر وتدفعنا في الوقت ذاته الى تشكيل مشهدنا الثقافي من جديد، يستند على الايدلوجيا الربانية- اعني الاسلام- لتدعيم كيانه، انطلاقاً من تطور وتقدم الايدلوجيا الربانية، وضمور وتخلّق الايدلوجيا الوضعية. على اعتبار انها- اي الفكرة الربانية - تعتبر ميداناً كل مكوناته معقولة محمولة على محمل المعقول المنطقي السليم، على عكس الايدلوجيا الوضعية اللامعقولة التي تحاول اقناع "الآخر" بمنطقها المستور المراوغ.

اذن الدعوة موجهة الى التوحد مع الفكرة الاسلامية، لأنها الفكرة الحقة، ولا سبيل - إن عاجلاً أم آجلاً- الى الصمود وتحقيق الذات، ومواكبة التطورات المعرفية والعلمية، الا اذا تسلحنا بمنطق صحيح متمخض عن فكرة حقة سالمة جينياً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

بين "الآن" و"الآن" ضمن معطيات " الآني"

"لماذا أنا هنا؟"
"ان الجواب الذي طالما اعطاه حكماء العالم هو اننا هنا لنكمل انفسنا لننمو في المقدرة على الحياة، وعلى العمل التعاوني البناء نحن والاخرون"

أدغر دايل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروح نفحة من ذات الله

اللامتناهي بـعلم الله اللامتناهي متناهي بـعلم الانسـان المتناهي، لكن المتناهي البشري قد يلج الى "اللامتناهي" بمجرد إعمال التفكير جرعة اضافية عما تعود عليه افراد النسق الاجتماعي، وهذا "اللامتناهي" البشري لا يعني تعدياً على "اللاتناهي"الإلهي، لأنه "لا تناهي " متناهي.

واننا كبشر نؤمن عل الاطلاق بـــ "لا متناهي" في جوهره متناهي- مع تحفظ البعض بعدم الاقتناع بالمتناهي وسعيهم الدؤوب نحو"اللامتناهي"على الرغم من ان تحـفظهم هذا في جوهره ليس الا تمركزاً حـول الذات، لأن الله المتفرد بربوبته يعلم بعلمه السرمدي الأزلي، ان هناك شاطحون يسعون الى"اللامتناهي" في ذات اللحظة التي يتقوقعون فيها.

وهذا الايمان العميق باضمحـلال اللامتناهي وتحـوله الى متناهي ضمن المعطيات البشرية كان قد ترسخ في صميمناعبر هذا المد الرباني المتجلي علينا في اشد صحواتنا الفكرية الراقية المتشكلةعبـر سلسـلة من الاندفاعات المزلزلة لعمقنا.

لذلك جاء هذا الاندفاع المعقـلن والمتجسـد في ماهيتنا ليجعلنا ننفلت من عقال التقوقع المتناهي الىعالم الروح"اللامتناهي" في محاولة منا لايجاد تفسـير ولو على المستوى التجريدي لهذا اللغز الرباني الذي انحنى امام عظمته كل العقل البشري عبرتاريخه الماضوي والحاضري والمستقبلي، وسيبقى الانحناء بحـالة صمت الى ان تفيء البشرية الىوضعها التالي.

وهكذا ليس بامكاننا بادئ ذي بدء ان نوجه اتهاماً الى روح الانسان كروح لا يعرف كنهها ومكنونها ومضامينها الا الله الآمر الناهى، لكننا نستطيع ان نوجه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتهاماً الى سلوك الانسان كمجرم اوسفاح اومرابي...الخ.

وانطلاقاً من هذا التوجه لسنا بصدد الحديث عن "لب الروح" او "ضمير الروح" لأن هذه الأمور ليس لنا عليها سلطان ولسنا مؤهلين بخوارق او معجزات لنخترق حواجز (الـ ما وراء) وحواجز "اللامتناهي" لنتمكن من سبر اغوار الروح والسيطرة عليها لدراستها والحديث عنها، لكنا نود الحديث عن "ظاهرية الروح" كمعلم من معالم تجليات الله على بني البشر.

بداية الروح- كمعطى رباني- من اجلّ واعظم الاشياء في هذا الكون المدرك وغير المدرك من قبل الانسان، لأن هذه الروح آتية من قبل الواحد الأحد. فالروح "نصاً وروحاً" "موضوعاً ومضموناً" ما هي الا قبساً بسيطاً من نور الله المتفرد المتعالي.

والانسان كروح متمرسة على الاضطلاع بما يتماشى مع هذا القبس الرباني، هو انسان جدير بالتقدير والاجلال من قبل بني البشر وموجد بني البشر، لأن الانسان اذا عمل على تغذية هذه الروح بما ينسجم مع اصالتها الربانية فما هو إلا محترم وملتزم بإرادة الله، الذي كرمه ان منحه هذه الروح التي تجعل الانسان اجل شأناً من الملائكة، اذا ما احترم هذه الروح وبجلها.

واحترام الانسان لهذه الروح لا يتأتى الا بنقاء الفكر والسلوك المتمخض عن الفطرة السليمة غير المتلاعب بنقائها من البيئة المحيطة والمتمثلة بممارسات واعية وغير واعية تؤدي الى الاضرار بنقاء الفكر والسلوك مما يترتب على ذلك شلل روحي، يصيب الانسان كتفكير وسلوك، لكن هذا الشلل وان اطلقنا تعسفاً عليه شللاً الا انه غير قادر على الوصول الى الروح كروح لأنه اصلاً غير مؤهل للتعرف عن كثب على هذه الهبة الربانية المتناهية بعلم الانسان المتقوقع التفكير.

(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) (الاسراء : ٨٥)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا النص الرباني يبين ان لا طاقة لنا على الالمام بـــ "ضمير الروح" مما يحتم علينا ان نؤمن بهذه الروح على انها شيء مقـــدس آت من قبـــل الله المتفرد بألوهيته في هذا الكون "اللامتناهي". ويحـــتم علينا ان لا نكون اغبـــياء لدرجة ان نصدّق ما يحكيه لنا بعض المهرطقين من ان الروح "ذبابة" او انها "النفس"، وغير ذلك من هذه الهرطقات المعلبـــة بـــالتزييف والتدجيل، لا هم لها ســـوى اشـــهار اصحابها المدعين الفكر والتفلسف.

ولست في مقالي هذا أريد أن استنبط شيئاً جديداً في امر مبتوت فيه من قبل الله الرحمن الرحيم، ولست في ذات الوقت اريد ان انغلق في حلقـــة مفرغة مليئة باحاديث واقاصيص مغلفة ومزيفة.

لكن ما ينبغي ايصاله هو ان نقـــف عصاة عتاة في وجه هذه الهرطقـــات الفكرية التي تدعي سبر اغوار الروح ومعرفة نواميسها، وان نكون متيقظين لهذه الهرطقـــات ومثيلاتها التي قـــد تقـــودنا الى متاهات لا مدارات لها، تدفعنا الى تفسيرات ليس لها صلة بـــ"لب الروح" لا من قريب او بعيد الا للذين ينظرون لهذه التفســيرات على انها الهامية خارقـــة لنواميس "الزمكان" يتحـــتم على الاخرين الاقتناع بها وشحن عقولهم بها.

ومن هنا يظهر عجز الانسان- مستخدماً كل اسلحته العقلية- في الحديث عن الجانب الماهوي من الروح. وحتى وان تحدث عن باطنية الروح ذات المجال الرباني فانه يكون قد مارس تمرداً ضد جوهره كعقل ونفس- لأنها اصلاً لا طاقة لها على الشطحان الوجودي والحديث بالتالي عن اشـياء جعلتها "الذات الإلهية" مجالاً محرماً او خطاً احمراً، لا يحـــق لأي كان ان يتعداه او حـــتى الوصول الى بداياته، لتبقى الألغاز الإلهية محيرة لأفكار العقل البشري ومانعة له من الوصول الى "الذات الإلهية"، وسادة عليه الطريق منذ البداية على اعتبار ان البداية بداية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البداية بداية النهاية و النهاية نهاية البـداية.لكن البـعض و انطلاقـاً من ايمانهم القوي بعفريتيتهم وقدرتهم على ثقب المجهول و اعلانهم لألوهية عقولهم، وجدوا انفسهم يتحدثون عن الروح وما هويتها – مشافهة او مكاتبـة – للوصول بـالتالي الى "الذات الإلهية" ليس من منطلق خرق افكارهم للمجهول، بـل من منطلق المنطق القائل بضرورة البحث – للعقـل البشـري – عن مزيد من التأله، خلا ان "التعفرت العقلي" لا يلبث ان يتبـدد سـاعة اخضاع معطيات الروح الى المضمون العقلي الراقي المدعم بالنصوص الموحـى بـها من قبـل الموجه لنواميس الكون، فتتشكل بالتالى قناعات راسخة تؤمن بأن "الضمير الروحـي" و "اللب الروحي" امر لا نستطيع البت فيه، لأننا كبشر نفكر تصطدم افكارنا – مهما بلغت رقيا او شطحا – بجدار المتناهي المرسـوم لنا من قبـل القـدوس المتفرد بوحدانيته. ﴿وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الاسراء: ٨٥)

فهذا النص الرباني يجعلنا نؤمن على الاطلاق – اذا ما ربـطناه بـالنص الرباني سـالف الذكر بـاننا فعلاً غير مؤهلين للحـديث عن مكنونات الضمير الروحي.وبناء على هذا يصبح مصطلح الروح من المصطلحـات "اللامتناهية" التي عجز العقل البشري عن فهمها و احاطتها بعنايته، مما شـكلت على الدوام – على طول الزمان – فارقاً واضحاً بين العقل البشري بمعطياته المتناهية، مقارنة بالذات الالهية بقدراتها ومعطياتها "اللامتناهية" الخارقة للزمان و المكان و الثاقبة لكل شيء – كبـر ام صغر – في هذا الكون (المتناهي اللامتناهي)، و الحارسـة للمصطلحات الرهيبة "كالعقل" و "الروح" و "النفس و "الذات"، وغيرهامن الامور – التي تسبب نزيفاً في المضامين العقلية، اذا ما اشتغل العقل على جبهتها – لتبقـى هذه الامور ومثيلاتها علامات فارقة بين "النفس الانسانية" و "الذات الإلهية".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكذب والتعدي على الحق الإلهي

كل الصياغات الوضعية- أعني التي صيغت من قبل بني البشر التي صاغتها العقلية البشرية على امتدادها وهي في وضعيتها الدنيوية، أعني من آدم عليه السلام الى ان تلقى البشرية خالقها ومنشئها مع نهاية"الوضع الآني" هي صياغات تعاني من الانفصام "الشيزوفيرينيا". فالنقص ملازم لها، والكمال ممتنع عنها، انسجاماً مع طبائع البشر الرافضة أو بالأحرى المعلنة ضعفها أمام كمالية "الذات الإلهية "، والراضية في ذات الوقت- طوعاً وكرهاً- بنصيب قليل من المخ البشري المتقوقع في صندوق الجمجمة.

ونتيجة لتقوقع المخ البشـــري داخل الجمجمة، كان لا بـــد ان تعاني كل الصياغات المتمفصلة عنه من"الشيزوفيرينيا" ولا بد - ايضاً- من اشكاليات في التنظير، لعدم القدرة على سبر غور الذات، والالمام بكل تفاصيلها، لأنه اصلاً- اي المخ البشـــري- لم تفهم كل تفاصيله- رغم فهم بـــعضها، فكيف يفهم الذات الاخرى بشكلها المطلق- اعني العقل كمتعال- والتنظير لها بالتالي بـــأيدلوجية طوباوية تعكس فهما متحضراً للذات بمعناها المطلق، حيث اصبحت قادرة على التنظير لكل الذات بمعناها المجسد، ولم تعد بحـــاجة الى إعلان عبـــوديتها الى جاذبية القوة الجمجمية.

لكن الحاصل مع فك اشكالية الزمان-هو العكس، حيث إعلان النقـــص، والانتماء للقوى الجمجمية، والاشكاليات بالتالي في الصياغات التي ينتجها المخ البشري، ابتداء -جدلاً- بالخرافات والاساطير، والنظريات الفلسفية، والعقـــائد الوضعية، والبراهين المنطقية، وانتهاء -فرضاً- بالقوانين العلمية الصارمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهذا كله-وبالأحـــــرى-نتيجة للشـــــــيزوفيرينيا التي عانت منها كل الأيدلوجيات الوضعية- جاءت الرســالة السـماوية الاسمى(الاســلام). لتخرج البشرية من سباتها الروحي والفكري بــعد الركود الذي اســتمر مدة من الزمان، وكان من الممكن ان يستمر الى ساعة انتهاء "الوضع الآني".

لكن العناية الإلهية كانت تتدخل في أوقات بعينها-لحكمة سرمدية في علم الله السرمدي-الى ان جاء التدخل الإلهي بالفكرة الاسلامية بــصيغتها النهائية في النص القرآني والحديث الصحيح. بلغة اخرى، نتيجة للنقــص الملازم للطبــيعة البشرية، ونتيجة لعجز العقــلية البشــرية عن انتاج أيديولوجية متكاملة شـاملة وصالحـــة لكل بـــني البشـــر في اي مكان واي زمان. نتيجة لهذا كان لا بـــد من ايديولوجية- بالمعنى المتعالي للكلمة- تصيغها الحكمة الإلهية على شكل رســالة سماوية، نقلت عن طريق الوحي الى الارض، وبالذات الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليعمل بدوره على نشــرها وتعميمها على كل بـــني البشـــر، لتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، لصلاحيتها وديمومتها ومرونتها، وعدم حكرها على جيل من دون آخر لأن منشـــئ هذه الأيديولوجية بـــمعناها الإلهي هو الله جل جلاله العارف بأمر الطبيعة البشرية، وأمر عقليتها. لهذا جاءت الايدلوجية الاســلامية، ايدلوجية متكاملة في النص القرآني، حتى احاديث سيدنا محـــمد-عليه الســلام- كانت عبارة عن وحي يوحيه الرب جل في علاه الى ســيدنا محـــمد عن طريق الملك جبريل. لتكون الرسالة الســماوية الأســمى متكاملة من جميع الجوانب، لا يشوبها شائبة تتعالى فوق الزمان والمكان، صالحة لكل بني البشر على اختلاف ثقافاتهم وشرائعهم ولغاتهم واجناسهم.. الخ. ومن هنا كان الله الواحد هو المختص الوحيد بصياغة الأيدلوجية الاسلامية مباشرة عن طريق النص القرآني، وبطريقة غير مباشرة عن طريق الحديث الشريف الصحيح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهذا صبغت الرسالة الإسلامية بصبغة ربانية مطلقة، وفي ذات الوقت حرم على بني البشر التعدي على النص الرباني بإضافات جديدة وفبركات فكرية جديدة تضيف شيئاً جديداً للأيدلوجية الاسلامية، لأنها أيدلوجية متكاملة بصبغتها الربانية، وليست بحاجة الى إضافات بشرية ناقصة، لأن إضافة أي نص بشــري الى النص الإلهي يعني تعدياً على الحق الإلهي، يمارسه بني البشــر أثناء إعلانهم الحــاكمية لعقولهم بدلاً من الحاكمية لله. كما فعل مسيلمة الكذاب عندما عمد الى صياغة نص جديد ليكون عوضا عن النص القــرآني وكما فعل بــعض المتطفلين عندما اخذوا بفبركة بعض الاحاديث ونسبها الى ناقل الرسالة السماوية(الاســلام)، لذلك أوجد العلماء المسلمون نظاماً صارماً لتبويب الاحاديث عرف "بالجرح والتعديل" وقبــل ذلك جاء التحذير الرباني على لسان سيدنا محمد –عليه السلام– عندما قــال: "من كذب علي عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".. ليس لأن الكذب مجرد اقــتراف مدنس حرمته الرسالة السماوية، بل لأنه يمثل تمرداً بشرياً يتمثل بــصياغة جديدة تضاف الى الفكرة الاسلامية بمضامينها الراقية. كما فعل– كما اشــرنا مسبقــاً– بعض المتطفلين من صناع الحديث. الذين أرادوا نسبــتها – أي أحــاديثهم– الى الرسول محمد عليه السلام– أي اضافتها الى الأيدلوجية الاسلامية، على اعتبار أن سيدنا محمد –عليه السلام – ليس الا ناقلاً لهذه الأيدلوجية الراقية.

اذن ومما سبــــــق نصل الى ما مفاده ان الكذب الايدلوجي –فيما يخص الأيدلوجية الاسلامية– يعتبر خطأً انطولوجياً يضطلع به بــعض البشــر المؤلهين لعقولهم والمعتقدون بربوبية كذبتهم الأيدلوجية.

وهذا الخطأ يمثل تمرداً بشــرياً ناقــصاً على ملك الملوك العارف بــأمر البشرية، والمنزل عليها رسالة سماوية لإسعادها وتحقــيق رفاهيتها، ونقــلها من دياجير الكذب الأيدلوجي، الى قناديل الحق الإلهي.